

دوار كوني

٣ أعداد في السنة بلغات مختلفة

عدد خاص
في ذكرى مايكيل بوراوي

كلاؤس دور
بريجيت أولينباخر
رولاند أتزمولر
فابين ديسبيو
رافائيل ديندل
كارين فيشر
جوانتا غروبتر
نانسي فيريز
نغايم-لينغ سوم
بوب جنسوب
هادي جوتفريد
ميشيل ويليامز

مايكيل والكارلان

جيفرى بلبيز
نازانين شاهروكني
روي براجا
بافيل كروتونف
تاتيانا لينكينا
سفيلانا ياروشينكو
فارين بارفيز
أيلين توبال

مايكيل والسوسيولوجيا
العمومية والكونية

آري سيتاس
الشيخ محمد قيس
سيابولا فوبوسي
ديفيد غولدبلاط

شهادات

قسم مفتوح
وقت علم الاجتماع

GD

العدد ٣ من السلسلة ٥١ - ديسمبر ٢٠١٧
<https://globaldialogue.isa-sociology.org/>



النشرة الأخبارية



< الافتتاحية >

عدد خاص تكريماً لマイكل بورواوي

مشكورين كُلُّ من كلاوس دوره وبريجيت أولبخار، وهما من المحررين السابقين لنشرية حوار كوفي ، دراسات تتناول انحراف مايكيل العميق في السوسيولوجيا الماركسيّة، سواء من حيث صرامتها النظرية أو من حيث راهنيتها العملية. وتستعيد هذه المساهمات حواراته مع «الكارلين» - كارل ماركس وكارل بولاني - واستشهاده لهذه الأفكار في تحليل قضايا العمل والاستغلال والأصولية السوقية والإمكانات التغييرية لعلم الاجتماع الماركسي. وتضم هذه الدراسات مساهمات من نانسي فريزر وبوب جيسوب وميشيل فيليامز وغيرهم، محفيّةً بعمق رؤيته التحليلية وقدرته على وصل النظرية النقدية بالنضالات الاجتماعية المعاصرة.

أما المحور الثاني فيركّز على أعمال مايكيل الرائدة في علم الاجتماع العمومي والعلمي. وتتناول المساهمات المضمنة فيه التحديات والآفاق التي تواجه علم الاجتماع باعتباره مهنة عالمية تُعنى إلى قضايا عدم المساواة، والحركات الاجتماعية، وال الحوار عبر الحدود. وتُبرز المقالات ابتكارات مايكيل المتميزة، وإصراره على علم اجتماع منخرط في تعاريف المجتمع المدني، وتأثيره في النقاشات عبر القارات - من أوروبا إلى أمريكا الجنوبية، ومن آسيا إلى أفريقيا. وتُظهر هذه المساهمات كيف شَكَّ عمله بوصلة وإطاراً لهم عاماً مضطرب.

يجمع ثالث المحاور الشهادات الشخصية والانتسابات الإنسانية التي تُظهر البعد العاطفي في مسيرة مايكيل العلمية والفكريّة. تكشف هذه الشهادات من خلال اللقاءات والجدال وتجارب العمل الميداني، عن الدفء والتوجيه والإلهام الذي قدّمه مايكيل لطلابه وزملائه وللنশطاء. كما تبرز هذه الشهادات أثره في النضالات المحلية - من جنوب أفريقيا إلى بنغلاديش - وكيف ما يزال يلهم الباحثين للتفكير النقدي والعمل التغييري.

لقد ألهم مايكيل رؤية علم الاجتماع تتسم بصرامةً أكاديمية راسخة، مقرونةً بالتزام عميق بمسارات التغيير الاجتماعي. ويأتي هذا العدد الخاص احتفاءً بحياته ومسيرته العلمية الاستثنائيتين، مؤكداً تجديد عزمنا الجماعي على ترسیخ علم اجتماع عمومي وعالمي؛ علم لا يقتصر دوره على تفسير العالم وتحليله، بل يطمح كذلك إلى الإسهام في تغييره، ناشراً بذوقًا جديدة للأفكار والمناقشات والممارسات. وفي زمنٍ تتعرض فيه السوسيولوجيا، ومعها علماؤها، لهجمات متقدعة في شتى أنحاء العالم، يزداد إلحاح الدعوة إلى صون السوسيولوجيا النقدية التي دافع عنها مايكيل وجعل منها نهجاً راسخاً. ومن هذا المنطلق، يضم هذا العدد أيضاً إعلان: زمن السوسيولوجيا»، الذي قدّمه الجمعية الدولية لعلم الاجتماع خلال منتدى الخامس المنعقد في الرابط بتاريخ ٦ يوليو/جوز ٢٠٢٥.

نأمل أن تُلهم الأفكار والتأملات والأبحاث الواردة في هذا العدد علماء الاجتماع حول العالم لمواصلة بناء سوسيولوجيا عمومية عالمي وشجاعة ونقدية وتغييرية.

برينو برینگيل، وكارولينا فيستينا، وفيتوريا غونزاليس، المحرر والمحررتان المساعدتان لنشرية حوار كوفي.

المناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيس نشرية حوار كوفي التي أطلقتها مايكيل بورواوي سنة ٢٠١٠، اتفقنا معه في يناير من هذا السنة على أن يُخصص هذا العدد لمراجعة التطورات التي شهدتها علم الاجتماع العمومي والعلمي خلال السنوات الخمس عشرة الماضية.

وقد كانت رؤية مايكيل لهذا العدد الخاص رؤية طموحة، كما عبر عنها في مراسلاته الشخصية، حيث أورد:

«برينو، أعتقد أنها فكرة رائعة أن يكون لـ حوار كوفي جلسة علمية خاصة في ذكرى تأسيسه الخامسة عشرة. ربما يمكنكم إصدار عدد خاص بمساهمات من مختلف المناطق (رغم أن ذلك قد يكون تحدياً)، أو التركيز على كبرى الإشكالات التي تواجه علم الاجتماع العمومي في هذه الأزمة المضطربة - مثل قضايا الحرب، وتغير المناخ، واللامساواة، والإجهاض - جميعها من منظور عالمي. هناك بديل آخر، وهو دعوة أشخاص قادرين على تقديم مساهمات مميزة. كما يمكنكم توجيه دعوة للجان البحثية RCs لتقدم مقتربات. فالسماء هي الحد!»

لكن القدر كان مأساوياً؛ فقد رحل مايكيل في الثالث من فبراير ٢٠٢٥ إثر حادث دهس وفرار. وجاءت رسائل التعزى والاستذكار بعد وفاته مباشرةً عميقاً وصادقة. وفي الثامن من فبراير ٢٠٢٥، نظمت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ISA عبر الإنترنت تكريماً لذكراه، Online Tribute in Memory of Michael Burawoy . وخلال الأشهر الماضية، استمر زملاؤه وطلابه ونشطاء ومنظّمات من مختلف أنحاء العالم يتذكّروننه بوصفه عقلاً ثاقباً ولذكائه الحاد، وكرمه وكربيّاً في عطائه، ومخلصاً في التزامه بالعدالة الاجتماعية.

لقد كان مايكيل تأثيراً بالغاً بوصفه مُشرقاً ومتقدماً عمومياً وعانياً ملهمًا، وألهم آلاف الباحثين حول العالم. ويعتبر إرثه الفكري من دراساته الرائدة حول العمل والمنهج الإثنوغرافي، إلى التزامه العميق بعلم الاجتماع العمومي، وبناء مجتمع عالمي من المفكرين والنشطاء الذين صاغهم إرشاده وعمله المشترك.

ومن هذا المنطلق، لم يعد هذا العدد الخاص مجرد احتفاء بأهمية علم الاجتماع العمومي، بل أصبح أيضاً تكريماً لذكرى مايكيل وإرثه الفكري. إذ نحتفي من خلاله، بالذكرى الخامسة عشرة لنشرية حوار كوفي، ونتفكّر في تطوير علم الاجتماع العمومي والعلمي من خلال مسيرة مايكيل وإسهاماته. وقد دعونا في هذا العدد زملاء مايكيل وطلابه وأصدقاءه حول العالم لتقديم رؤاهم وتحليلاتهم وشهادتهم الشخصية حول عمله واللحظات التي جمعته بهم.

تم تنظيم العدد حول ثلاثة محاور موضوعية. يضم المحور الأول، الذي تولّ تحريره

< فريق التحرير >

يُقدّمُ القسمُ المُوضوّعاتُ المُخصّصُ لعلم الاجتماع الهندي بعضَ النقاشات حول إحدى أكثر الأوساط السوسيولوجية حيوية في العالم.

يستكشف القسم (مايكل و«الكارلان»)، الذي حرّره كلاوس دوره وبريغيته أولنباشر، انحراف مايكل في الماركسية السوسيولوجية.



يركّز القسم المُوضوّعاتي الثاني على عمل مايكل الريادي في السوسيولوجيا العامة والسوسيولوجيا العالمية.



يجمع القسم الأخير شهادات شخصية وتأملات فكرية، مُبرزاً البعد الإنساني في إنتاج مايكل العلمي.

صورة الغلاف: مايكل بوراوي من الجامعة الأوروبيّة في سانت بطرسبرغ، ٢٠١٥.
الصورة من تاتيانا ليتكينا.



تصدر حوار كوني بفضل الدعم السخي لمنشورات
(SAGE Publications) ساج

رئيس التحرير: برينو برينينغيل

محرر مساعدان: كارولينا فيستينا و فيتوريما غونزاليز

محرر مشارك: كريستوفر إيفنز

مدير التحرير: لولا بوسوتيل، أوفست باغا

مستشارون: كلاوس دورى، بريجيت أولنباشر

محررون إقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي (البنان)، فطيمة الرضوانى، (تونس) صفوان
الطرابلسي (تونس) سوار الهاشمى (تونس)

الأرجنتين: ماغدالينا ليومس، خوان باريوكو، دانتي مارخيوسوس

بنغلاديش: حبيب الحق خوندنكر، خيرول تشودري، بيجوي كريشنا بانيك،
الشيخ محمد كايس، محمد عبد الوشيد، محمد جاهير الإسلام، هلال
أودين، مسودور حمّن، راسل حسين، ياسمين سلطانة، محمد شاهد
الإسلام، فارهين أكثر بويان، ساديا بنت زمان، محمد نسيم الدين، إكرامول
كبير رنا، علّمغور كير، تسلیمة نسرین، سورايا أكثر، عائشة صدیق
همیرہ، نوسانتا اورڈی، س. محمد شاهین

البرازيل: فابريسيو ماسيل، أندريرا غالى، خوسىه غويرادو نيتو، جيسيكا
مازيني مينديز، كارين باسوس

فرنسا/إسبانيا: لولا بوسوتيل

الهند: رشمى جين، مانىش ياداف

إندونيسيا: هاري نوغروهوجا، فيينا إتريري، إندريرا راتنا إبراراوي بانيانا ساراني،
نورول عيني، لوسي راتي كوسومادبوي، روسفاديا ساكياتي جاهيا، أريو
سيتو، أديتيا بيردانَا سينتادى، دومينغوس إلسيد لى، بنديكوس هاري
جوليawan، محمد شيبة الدين، غريغوريوس راجيل وبياوانت، هارقمانتو
براديغتو أوتومو

إيران: ريهان جوادي، نيايش دولاتي، إلهام شوشتارزاده، علي راغب

بولندا: ألكساندرا بيرناكا، آنا تورنر، جوانا بيدناراك، سيباستيان
سوسنوفسكي

روسيا: إيلينا جدرافوميسولوفا، داريا خلودوفا

تابagon: وانجو لي، يون-هسوان تشوا، زي هاو كيرك، مارك بى- وي لاي،
يون-جو لين، تاو-يونغ لو، تشين-ينغ تشين، يو-وين لياو، في لي

تركيا: غول سورباسيو غلو

< في هذا العدد:

الافتتاحية: عدد خاص تكريماً لذكرى مايكل بوراوي

< مايكل والكارلان

الماركسية السوسيولوجية: ما الذي بقي علينا إنجازه؟

بعلم كلاوس دوره، ألمانيا

مقاومة الاستغلال وأصولية السوق

بعلم بريغيت أولنباشر، رولاند أتسمولر، فابين ديسيو، رافاييل دايندل، كارين فيشر،

وجوهانا غروبز، النمسا

إلى مايكل بوراوي: تقدير وإشادة

بعلم نانسي فريزر، الولايات المتحدة

علم الاجتماع العمومي لدى مايكل واقتصاد الانتباه

بعلم نغاي-لينغ سوم وبيوب جيسوب، المملكة المتحدة

مايكل بوراوي المتحرر من القيود

بعلم هايدري غوفرييد، الولايات المتحدة

شجرة الماركسية السوسيولوجية لدى مايكل بوراوي

بعلم ميشيل ويليامز، جنوب أفريقيا

< مايكل والسوسيولوجيا العمومية و الكونية

مايكل بوراوي: بوصلة لعلم الاجتماع في عصرنا

بعلم جيفري بلايرز، بلجيكا

مايكل بوراوي: علم الاجتماع بوصفه مهنة

بعلم نازفين شاهركتني، إيران/كندا

مايكل بوراوي: بين الماركسية الصامدة وعلم الاجتماع العمومي

بعلم روبي براغا، البرازيل

< شهادات

لقاءات وسجالات مع مايكل بوراوي

بعلم أري سيتاس، جنوب أفريقيا

مايكل بوراوي: منارة هادبة

بعلم شيخ محمد كايس، بنغلاديش

تكريم مايكل بوراوي: عدسة ماركسيّة على صناعة سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا

بعلم سيبوليلا فوبوسي، جنوب أفريقيا

الجدول الدوري ليوتوبيا ممكنة

بعلم ديفيد غولديلات، المملكة المتحدة

< القسم المفتوح

زمن السوسيولوجيا

بعلم الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

٤٣

< المفتاح

مايكل بوراوي

٤٠

< المفتاح

مايكل بوراوي

٤١

”السوسيولوجيا العمومية دون بوراوي أشبه بطائر بلا جناح.

لكن لحسن الحظ، لقد عُلِّمَ العديد من علماء الاجتماع الشباب كيف يطيرون“
لابينوت كونوشيفتسى، كوسوفو



< الماركسية السوسيولوجية:

ما الذي بقي علينا إنجازه؟

بقلم كلاوس دوّره، أستاذ فخري، جامعة ينا – ألمانيا

الماركسيّة في الموجة الثالثة على المجتمع المدني الديمقراطي خارج منطق السوق والدولة. فالسوق والدولة لن يختفيان، لكن يتوجّب إخضاعهما لرقابة مجتمع مدني ديمقراطي. ثالثاً، تتصوّر هذه الماركسية المجتمع المدني بوصفه عالمياً ووطنياً في الوقت نفسه، إذ إن مجتمعـاً مدنيـاً يتصدّى للكوارث البيئية المحدقة بالإنسانية يجب أن يحمل، في نهاية المطاف، بعـدـا عـالـمـاـ. رابعاً، تستطيع هذه الماركسيّة أن تستفيد من اتساع المعرفة السوسيولوجية المتضمنة في الأعمال واسعة القبول التي تنتقد السوق. خامسـاـ، يحافظ بوراوي على فكرة المجتمع الاشتراكي حيـةـ من خلال البحث عن نقاط ارتكاز لإحداث تحول جزئي عبر المجتمع المدني، أي أمل تحقيق «يوتوبـياـ واقعـيـةـ». وبـماـ أنه يكتشف أشكالـاـ جـنـينـيـةـ لـبـدـائـلـ مـعـيشـةـ فـيـ شـتـىـ أـنـحـاءـ العـالـمـ، فإـنـهـ سـادـسـاـ، يـطـوـرـ المـارـكـسـيـةـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـةـ إـلـىـ مـارـكـسـيـةـ عـالـمـيـةـ. وـسـابـعـاـ، يـتـخـلـىـ منـهـجـيـاـ عنـ الـيـقـيـنـيـاتـ النـظـرـيـةـ وـالـأـوـامـرـ الـعـمـلـيـةـ، سـاعـيـاـ لـاخـتـارـ تـواـزنـاتـ جـديـدةـ بـيـنـ النـظـرـيـةـ وـالـمـارـسـةـ.

< الليبرالية السلطوية

ترك لنا بوراوي، من خلال فكرته حول الاشتراكية المؤسسة سوسيولوجياً، إرثاً يجب أن ننهض به إذا ما أردنا تعزيز فرصة قيام مستقبل جدير بالحياة. ويبدو لي أن هناك ثلات مهام مركبة في هذا الصدد. تمثل الأولى في ضرورة تحليل الانشطارات الاجتماعية الجديدة التي تظهر استجابة لسلعنة الطبيعة والمعرفة، وكذلك لعملية الاستحواذ (Landnahme) المميل للعمل والمال.

تضارف الموجة الثالثة من السوقنة على نهايتها، إذ باتت الحركات المضادة لتوسيع السوق تتبع أكثر فأكثر من دول وحكومات استبدادية. وفي الأثناء، أصبح المجتمع المدني الديمقراطي، بكل تنوعه واستقلاله، مهدداً أكثر من أي وقت مضى. نحن نبدأ في اختبار موجة رابعة يمكن - استناداً إلى هيرمان هيلر، أحد منظري الماركسيّة في الموجة الثانية - أن نسمّيها «الليبرالية السلطوية». يُشير هذا المصطلح إلى دولة استبدادية تتخلّى تماماً عن سلطتها الاقتصادية، ولا تعترف إلا بحرية السوق. ويبدو أننا نشهد اليوم رد فعل مماثل على التحول الاجتماعي البيئي المتعلق بالصراعات: إذ يتحرر الاقتصاد من القيود البيروقراطية، بينما تُترك حماية المناخ، إن استمرت أصلـاـ، لقوى السوق والابتکار التكنولوجي. تُنهي سياسات التجارة النيومركانتيلية عصر العولمة المدفوعة بالسوق، وتتحل صفات النخبة محل الدبلوماسيـةـ العـابـرـةـ للـحدـودـ، ويفرغ الحكم الأوليغارشي الديموقراطيـةـ منـ جـوـهـرـهاـ، وـتـقـضـيـ حـربـ ثـقـافـيـةـ أـصـولـيـةـ عـلـىـ حقـوقـ الإـنـسـانـ الأسـاسـيـةـ، وـتـرـسـخـ الـامـتـياـزـاتـ الـطـبـقـيـةـ، وـيـتـحـولـ التـميـزـ الجـنـسـيـ وـالـعـنـصـرـيـةـ إـلـىـ أـيـدـيـوـلـوـجـيـةـ للـدـوـلـةـ، وـتـخـضـعـ الجـامـعـاتـ، التـيـ أـسـنـدـ إـلـيـهاـ بـورـاويـ دورـاـ محـورـيـاـ فيـ مـكـافـحةـ السـلـعـنـةـ لـطـغـيـانـ الدـوـلـةـ. تـتـحـمـلـ

ي عـدـ كـارـلـ مـارـكـسـ وـكـارـلـ بـولـانـيـ مـصـدـرـيـنـ أـسـاسـيـنـ لـلـإـلـهـامـ فـيـ المـارـكـسـيـةـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـةـ التـيـ طـوـرـهـاـ مـاـيـكـلـ بـورـاويـ بـالـاشـتـراكـ معـ صـدـيقـهـ إـيرـيكـ أولـينـ رـايـتـ.

< الماركسية: الجذور، الجزء، الفروع

يفهم بوراوي الماركسيّة باعتبارها تقليـداـ حـيـاـ متـجـذـراـ فـيـ المـادـيـةـ التـارـيـخـيـةـ وـالـنـزـعـةـ الإـنـسـانـيـةـ وـالـفـهـمـ الـخـاصـ لـلـعـلـاقـةـ بـيـنـ النـظـرـيـةـ وـالـمـارـسـةـ لـدـىـ مـارـكـسـ الشـابـ. مـنـ هـذـهـ الجـذـورـ نـاـ الـ«ـجـذـعـ»ـ العـظـيمـ لـلـمـارـكـسـيـةـ: نـقـدـ الـاـقـتصـادـ السـيـاسـيـ الـذـيـ طـوـرـهـ مـارـكـسـ فـيـ رـأـسـ الـمـالـ، وـالـذـيـ تـفـرـعـتـ عـنـهـ لـاحـقاـ فـروعـ كـثـيـرـةـ تـشـمـلـ اـلـمـارـكـسـيـةـ الـأـلـمـانـيـةـ قـبـلـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ، وـالـمـارـكـسـيـةـ السـوـفـيـتـيـةـ الـتـيـ تـرـسـختـ فـيـ شـكـلـ دـغـمـاـيـ، ثـمـ المـارـكـسـيـةـ الـغـرـبـيـةـ وـمـارـكـسـيـةـ الـعـالـمـ الـثـالـثـ كـرـدـودـ فـعـلـ عـلـيـهـاـ. تـذـبـلـ بـعـضـ الـفـرـوـعـ وـتـزـهـرـ أـخـرـىـ، وـيـتـوـافـقـ كـلـ مـنـهـاـ مـعـ اـلـمـوـجـاتـ الـثـلـاثـ لـلـسـوـقـنـةـ (Marketization)ـ الـتـيـ يـحـدـدـهـاـ بـورـاويـ فـيـ نـقـدـهـ التـحـلـيـلـيـ لـبـولـانـيـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ المـوـجـةـ الـأـوـلـىـ خـلـالـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ، وـالـثـانـيـةـ اـبـتـادـأـ مـنـ سـنـةـ ١٩١٨ـ، وـالـثـالـثـةـ الـتـيـ اـنـطـلـقـتـ فـيـ سـبعـينـيـاتـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ. تـغـدوـ قـرـاءـةـ بـولـانـيـ إـلـىـ جـانـبـ مـارـكـسـ ضـرـورـيـةـ مـلـنـ أـرـادـ فـهـمـ اـلـمـارـكـسـيـةـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـةـ الـتـيـ تـأـمـلـ الـمـوـجـةـ الـثـالـثـةـ.

< الماركسية بعد بولاني

يقطع بوراوي مع فكرة الماركسيّة التقليدية التي ترى أن مجال الإنتاج هو المكان الذي ينبغي البحث فيه عن مقاومة الرأسمالية. فبالنسبة إلى بوراوي، يعـدـ مـجـالـ الـإـنـتـاجـ تـحـدـيدـاـ الـمـجـالـ الـذـيـ يـوـلدـ فـيـ الـقـبـولـ بـالـرـأـسـمـالـيـةـ. وـمـعـ وجودـ «ـفـائـضـ»ـ عـالـيـ منـ قـوـةـ الـعـمـلـ، لاـ يـبـدـ الـعـمـلـ شـبـهـ الـمـحـمـيـ لـلـعـاـمـلـ كـاسـتـغـلـالـ، وـإـنـماـ باـعـتـارـهـ اـمـتـيـازـاـ مـرـغـوبـاـ بـشـدـةـ. فـمـنـ النـاحـيـةـ الـذـاتـيـةـ، لـيـسـ الـاسـتـغـلـالـ، رـغـمـ كـونـهـ شـرـطـاـ لـاـ غـنـىـ عـنـهـ لـتـرـاكـمـ رـأـسـ الـمـالـ، مـاـ يـعـيـدـ تـشـكـيلـ تـنـوـعـ الـوـجـودـ الـإـنـسـانـيـ، بـلـ هـيـ تـجـربـةـ «ـالـطـاحـونـةـ الشـيـطـانـيـةـ»ـ لـلـسـوـقـ (وفـقـ تـعبـيرـ بـولـانـيـ).

< الماركسية السوسيولوجية

يضيف بوراوي إلى إعادة التفكير في الماركسيّة التقليدية مجموعةً من الأفكار المحورية. أولاً، ينبغي للماركسيّة السوسيولوجية أن ترى في سلعنة الطبيعة السمة التعرفيـةـ للـمـوـجـةـ الـثـالـثـةـ منـ التـمـدـينـ السـوـقـيـ. وـلـهـذاـ يـدـعـوـ بـورـاويـ إـلـىـ تـقـيـيدـ الـأـسـوـاقـ وـإـلـىـ جـعـلـ وـسـائـلـ الـإـنـتـاجـ اـجـتمـاعـيـةـ الـمـلـكـيـةـ، وـهـوـ مـاـ قـدـ يـعـنـيـ توـسيـعـ الـحـرـياتـ الـأـسـاسـيـةـ أوـ تـقـيـيدـهـاـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ. ثـانـيـاـ، سـتـرـكـ

”لا يمكن هزيمة الليبرالية الاستبدادية إلا إذا ظهرت بدائل موثوقة داخل النظام السياسي“

< الماركسية العالمية >

بصرف النظر عن المواقف تجاه هذه المقترنات، يظلّ تطوير ماركسية سوسيولوجية ذات هوية عالمية طموحًا لم يتحقق بعد، وهو المهمة الثالثة التي أراها محورية في إرث بوراوي. ومع وفاة مايكل الصادمة، نشهد الانحسار التدريجي لجيل من علماء الاجتماع الذين صقلتهم، أكاديمياً وسياسياً، حركات (ما بعد) ١٩٦٨. وبطبيعة الحال، تظهر أجيال جديدة، ومن واجب علماء الاجتماع من جيلي دعم وتشجيع كلّ أولئك الذين يتّخذون فكرة بوراوي عن الماركسية السوسيولوجية أساساً للتفكير والتأمل. يمكننا دعم الجيل الجديد بالإنصات إليه ونقد «اللجان المركزية» الجديدة التي تدعى حقائق أبدية، وكذلك نقد فكرة «السوبرماركت الماركسي» حيث تُلتقط الأفكار وفقاً لروح العصر the Zeitgeist دون الانخراط في معالجة المظالم الاجتماعية اليومية للمقهورين. باختصار، يجب أن نسعى بشكل عاجل إلى إيجاد منصات وصيغ حوار ممكّن من تبادل حقيقي يُجسد ما تصوّره مايكل كفكرة أداة: ماركسية عالمية تُشير إلى الطريق نحو تجاوز الرأسمالية وحروبها وكوارثها.

توجه كل المراسلات إلى كلاوس دورّي على العنوان التالي: klaus.doerre@uni-jena.de

يمكن للمهتمّين بهذه التأملات الرجوع أضيًّا إلى نتائج مشروع التحرّر بر الاشتراكية الذي أنجزه المؤلف بـالاشتراك مع الطلبة وعلماء اجتماع شبّاب، على الموقع التالي:

<https://emasoc.de/sozialismus-von-unten-emanzipatorische-ansaetze>

هذه الموجة الجديدة من السوقنة حول العلاقات الاجتماعية. وبما أنه يُرَعَم أن الموارد لم تعد تكفي للجميع، يصبح الحق في الحياة مقتضاً فقط على «الأكثر إنتاجية» من سكان الكوكب؛ وذلك داخل مناطق ازدهار مغلقة ياحكم، باستخدام كل الوسائل الممكنة، أمام بقية العالم المعرض للكوارث.

< عودة المسألة الطبقية >

في عالم تسوده الحروب والکوارث، تتبع إحدى المهام الحيوية التي تركها لنا بوراوي من فكرة عدم كفاية البحث عن بدائل ضمن بيئات النظام القديم، وفي تعاريفه. وبينما لا تزال هذه الجهود لبناء الاشتراكية من القاعدة مهمة، من الواضح أيضًا أنه يستجبل دحر «الليبرالية الاستبدادية» للأوليغارشيين الجدد إلا بظهور بدائل موثوقة قادرة على كسب تأييد الأغلبية داخل النظام السياسي بأكمله. وعليه، سيكون من الإهمال التخلّي عن الصراع على سلطة الدولة. ولمواجهة التدمير المستمر للعقل، لا بد من إعادة عرض الاستغلال والهيمنة المستشرين وراء منطق السوق أمام الرأي العام. وتبدو لي تأملات إريك أولين رايت حول طبقيّة تكاملية، تربط ماركس ليس فقط ببولاني، بل أيضًا بفيري وبورديو، فضلًا عن الأصوات الفكرية للماركسية «السوداء» والماركسية النسوية، محورية في هذا المسعى.

< مقاومة الاستغلال وأصولية السوق

بقلم بريجيت أولينباخر، رولاند أتزمولر، فابيان ديسيو، رافائيل ديندل، كارين فيشر، يوهانا جروبينر
جامعة جوهانس كيبلر لينز، أستراليا

الرئاسي «مواجهة عالم لامتكافي» [Facing an unequal world](#) في المؤتمر العالمي الثامن عشر لعلم الاجتماع في اليابان، قدم قراءته لبولاني راهنا وكذلك نتائج الخلافات والنقاشات المتعلقة بعلم الاجتماع العمومي ، أي مهام علم الاجتماع في أوقات الأزمات الأساسية. أصبح التفكير في علم الاجتماع عنصراً مفتاحياً في تحليله البولاني لأصولية السوق المعاصرة والعكس صحيح؛ مما أدى كلّيهما إلى ما أسماه «علم الاجتماع العالمي البولاني»: علم اجتماع المجتمع وفي المجتمع ولأجل المجتمع، والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع المدني ويجمع بين المنظورات العالمية والمحلية.

< أصولية السوق باعتبارها «تجربة معاشرة»

كان تأويل مايكيل لـ «التحول العظيم» لبولاني أصيلاً إلى حدٍ كبير. لقد جمع بشكل مثير للإعجاب بين تفكير تاريخي وسوسيولوجي في «الحركات» و«الحركات المضادة» في القرون الماضية والحاضر، مستلهما من روئي حول التغيير التحويلي في عدّة بلدان. أحد أهمّ أجزاء نظرية مايكيل البولانية في أصولية السّوّقنة هو التحليل المشترك للموجات الثلاث للتسوية على المستويين الماكرو-(الكلي) والميزو-(الأوسعّي)، وللسّوّقنة باعتبارها « التجربة المعاشرة » للناس في حياتهم اليومية. من منظور تاريخي، وأشار إلى أن سلعة السوق الأصولي للـ «سلع الوهمية» البولانية - الأرض/الطبيعة، والعمل، وأطال، والتي أضاف إليها المعرفة - أثار «حركات مضادة» في شكل نضالات من أجل حقوق العمل وحقوق اجتماعية وإنسانية، سواء كانت نضالات قائمة على الطبقة أو مطالب من أجل حماية قانونية وأطر تنظيمية.

والأهم من ذلك، يتيح لنا منظوره للـ «حركات المضادة» في عصرنا أن نفهم كيف تُحُفَّز خبرة الحياة اليومية أشكالاً مختلفة من الاحتجاج الاجتماعي. ففي أ زمنة أصولية السوق، لا تؤدي السّلعة إلى فك السّلعة، ونزعها، وإعادة سلعتها، قد تؤدي إلى مشاكل جوهرية، لا سيما بالنسبة لأولئك المستبعدين من التبادل السّوقي، بسبب البطالة أو في مواجهة المشاكل الايكولوجية غير الربحية وبالتالي متغافل عنها. بعيداً عن تمجيد المجتمع المدني - لا سيما في ظل تصاعد الشعبوية اليمينية - فإن الهاشم المتاح لحركات العمل والحركات الاجتماعية في أوائل القرن الحادي والعشرين يمثل، بالنسبة لمايكيل، طيفاً واسعاً من «الحركات المضادة» البولانية التي تُعدّ محورية في التحول المستمر للرأسمالية.

< سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية ولأجلها لدى مايكيل

بناءً على تحليل بولاني، يعتبر مايكيل بأن السّلعة هي التجربة المحددة لعصرنا. إن الاستغلال، على الرغم من كونه جوهرياً في أي نقد للرأسمالية، غالباً لا يُدرك على حقيقته بوعي - وهي رؤية قد طورها مايكيل في كتاب تصنيع الموافقة [Manufacturing Consent](#) في «نظريته العامة»، لا يُنظر إلى الموجات الثلاث للسوّقنة بمعزل عن بعضها البعض بل تُفهم على أنها مترابطة من خلال ديناميات جدلية - بل ربما رجعية.

ل يست سوسيولوجيا مايكيل بوراووي ماركسية وبولانيوية فحسب، بل أكثر بكثير. يتناول هذا المقال أشدّ أعماله إثارة للإعجاب وأكثرها إلهاماً، وبلغ ذروته في تحليله لرأسمالية السوق في القرن الحادي والعشرين.

< مايكيل وكارل ماركس

من الصعب تلخيص سعة أعمال مايكيل وامتدادها في بضع كلمات؛ إذ قد يُضيع المرء بين حزمة من المسارات الشيقية. ولا عجب أن يصف انخراطه طويلاً الأمد في دراسة تطور سيرورات العمل بأنه «أوديسة إثنوغرافي ماركسي»، [Odyssey of a Marxist Ethnographer](#) أو أن يدرك دوره في تجديد الماركسية (السوسيولوجية) بوصفه «مؤولاً رحالة».

يشمل منظور مايكيل النظري فهماً شاملًا لنقاشات داخل الماركسية وكذلك في السوسيولوجيا (الكلاسيكية). ينخرط عمله حول سيرورات العمل، ضمن أمور أخرى، في افتراضيات ماركسية حول الطبيعة المؤلدة للأزمات في الرأسمالية، ودلالات الصراعات الطبقية، وإرساء هيمنة الطبقة الحاكمة داخل المصنع ومن خلاله، وشروط التحول الشوري. ومع ذلك، منذ البداية، كان توظيفه للتقليل النظري الماركسي محدوداً بمقارنة نقدية لبعض الافتراضات الماركسية العامة. أظهرت دراسته لسيرورات العمل الطرق المتغيرة بالضرورة والتي تتحقق من خلالها السمات البنوية لنمط الإنتاج. لقد حالت هذه الرؤية دون أي تطبيق دعمي للمفاهيم النظرية، سواءً في العلم أو في الممارسة السياسية. وقد استدعى منّا منظوره طويلاً المدى أن نتعامل مع дيناميات التحويلية للرأسمالية.

< تكمّلة كارل ماركس بكارل بولاني

أدى التحول الأساسي للرأسمالية منذ سبعينيات القرن العشرين، الذي شُخص به مايكيل على أنه «الموجة الثالثة للسوّقنة»، [third wave of marketization](#) «الاشتراكية الواقعية»، إلى تحويل نقطة تركيز نحو العلاقة بين المجتمع والسوق. يمكن هذا التغيير وراء تصوّره للماركسية السوسيولوجية، مستندًا إلى مفكرين عدّة مثل، أنطونيو غرامشي وكارل بولاني. فالنسبة لمايكيل، الماركسية السوسيولوجية هي عابرة للقوميات، تهدف إلى دمج تجارب فك الاستعمار وما بعده، وتأخذ بعين الاعتبار التقسيم الأبوّي للمجتمعات، وتعترف بتنوع النضالات الاجتماعية والأشكال الممكنة لمجتمع ما بعد-رأسمالي.

يقوم طموح مايكيل بإعادة تصوّر الإرث الماركسي «لعصرنا» كذلك على اعتراض بأن عليه التخلّي عن اليقينيات النظرية. بدلاً من ذلك، ما يحتاجه هو حوار متكافئ بين النظريّة الاجتماعية النقدية والعلم، والممارسة الاجتماعية التحويلية.

على وجه الخصوص، منذ الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨، استند مايكيل أكثر فأكثر إلى رائحة كارل بولاني : التحول العظيم. في خطابه

”علم اجتماع عن المجتمع وفي المجتمع ومن أجل المجتمع، يجمع بين المنظورين العالمي والمحلّي“

< افتقاد مايكول

كوننا مطلعين على سوسيولوجيته سنوات، نتطلع من جديد إلى تعاون ثريّ ووطويل المدى مع مايكول. نحن ممتنون للفرض العديدة التي أثاحت لنا لقائه، للاستفادة من عمله، وتبادل الأفكار والتعاون، وكذلك ممتنون لكرمه الفكري، والتزامه الأكاديمي وحسّه الفكاّهي التحفيزي. كأستاذ زائر في جامعتنا، ألهم مايكول تأسيس الجمعية الدولية لكارل بولاني في استراليا. وبصفته مؤسساً لحوار كوني، دعانا للمساهمة في هذه المجلة الرائعة. بوسعنا قول المزيد. لقد رحل عنا مفكّر استثنائي من مفكّري عصرنا. نفتقد له.

توجه المراسلات إلى بريجيت أولينباخر على البريد الإلكتروني brigitte.aulenbacher@jku.at

توقع مايكول أن تلعب سلعة الطبيعة دوراً رائداً في المرحلة الحالية، وأكد أنّ حركة مضادة فعالة من المرجح أن تظهر على الصعيد العالمي، لأنّه لا يمكن فعلياً معارضه تدمير الطبيعة ومكانات رأس المال العالمي العالمية إلا في هذا المستوى. ومع ذلك، ينبغي أن تتجاوز مثل هذه الحركة المضادة الحدود الجيوسياسية الراسخة، والقيود الوطنية، والمنطق قصير المدى الذي ذيّرتُه السُّوقَة.

إذاء نتفاؤل ساذج، دعا مايكول إلى تشاوّم لا هواة فيه. لقد استند إلى كل من بولاني وماركس، مدمجاً مفاهيم بولاني للسلع الوهمية والحركات المضادة مع تحليل ماركسي للديناميات الرأسمالية. فقط من خلال فحص دقيق للقوى المادية الدافعة للسوقنة يمكننا الشروع في تقييم ما إذا كانت الحركات الاجتماعية المعاصرة تساهم في تكثيفه، قصدًا أم لا، أو تساهم في عكسه.

إلى مايكيل بوراووي:

تقدير

بقلم نانسي فرايزر، المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية، الولايات المتحدة الأمريكية

الوهمية الأرض والعمل والماء إلى قيمة تبادلية وبذلك تدمر قيمتها الاستعمالية، بما في ذلك كونها شروطاً لإمكان سوقٍ للسلع الحقيقة.

بالنسبة لكلينا أيضاً، اقتربت فكرة بولاني عن «الحركة المضاعفة»، التي تضع دعوة توسيع السوق في مواجهة أنصار الحماية الاجتماعية منه، طريقة جديدة لفهم النضالات في المجتمعات الرأسمالية. وبعيدة عن نقطة الإنتاج، هذه الصراعات هي ما أسميتها «نضالات الحدود» التي تعارض قواعد الحياة والتصميم المؤسسي للمجتمع، وذلك عكس توزيع فائض القيمة. بالنسبة لي ومايكيل، إذن، خدمت شخصية بولاني التغلب على الاقتصادية، مضاعفة موقع وأشكال النشاط المناهض للرأسمالية إلى ما يتجاوز تلك المركبة إلى الماركسية الكلاسيكية.

< تأويلات متباعدة: الشوكوكية مقابل النفوذ والوعد

ومع ذلك، كان هناك اختلاف واحد حاسم. في حين كان لدى شُكّ عميق في استحضار بولاني لمصطلح «المجتمع»، الذي اعتبرته جوهرياً ويطمس الهيمنة القائمة على غير السوق، فإن مايكيل فسره بشكل إيجابي - كـ«مجتمع نشط». وهو المجتمع البولانيوي، الذي يستدعيه التطور الرأسمالي وعليه هو محدد تاريخياً، بدا له مليئاً بالдинاميكية. تتبثق منه طاقات ناشطة، وأظهرت سابقاً شكلاً جديداً للاشتراكية التي يقترب فيها سوق ذاتي-التعديل مفترض مجتمع ذاتي-التعديل بالفعل. الآن فقط، بعد أن أعدت قراءة مقالته البارزة لعام ٢٠٠٣، «من أجل ماركسية سوسيولوجية»، أدركت للتقوّة والوعد الذي يحمله تأويل مايكيل.

< التقارب من خلال عمل غرامشي

تشتهر تلك المقالة بطرحها لفكرة التقارب بين بولاني وأنطونيو غرامشي، الذي يمثل نقطة ثانية كبرى ومرجعية شاركتها مع مايكيل. افترض الإيطالي هو الآخر مرتكزة المجتمع في الرأسمالية المتقدمة. خلافاً لبولاني، نظر غرامشي لـ«المجتمع المدني» جديلاً: كساحة للنزاع الطبقي وكما يرى له في آن واحد. بالتحديد في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، المجتمع المدني هو فضاء وسيط بين الاقتصاد والدولة، مجمع للمدارس والكنائس، والمحاكم ووكالات الرعاية الاجتماعية، والجامعات ومراكز الأبحاث، والنقابات والجمعيات المهنية، والإعلام والمتحاف. هنا بالتحديد يتشكل ويرجع الرأي العام والفهم اليومية، حيث يصبح الحس العام البرجوازي مهيمناً، وحيث تنتزع (بدرجة أو بأخرى) موافقة المهيمن عليهم على الحكم الطبقي. لكن هذا ليس كل شيء. المجتمع المدني هو أيضاً فضاء نزاع، حيث يمكن أن تتصدّع الموافقة ويمكن أن تبني ميدانياً هيمنة مضادة. كونه ساحة احتواء ونزاع في وقت واحد، يشير إلى الاستقلال النسبي للسياسة عن الاقتصاد من جهة، وإلى انغراز الأولى في مصروفات مؤسسية محددة، وميادين قوّة مشكلة طبقياً، وملامح تاريخية. بالنسبة لمايكيل، كما بالنسبة لي، كانت هذه الرؤية تأسيسية. فقد استخدم كل منا على نطاق واسع طيفاً عريضاً من المفاهيم الغرامشية، بما في ذلك المجتمع المدني،

ومنها جميغاً واغتنمنا عند سماع خبر وفاة مايكيل بوراووي المأساوية وعديمة المعنى. بالنسبة لي، جاء هذا الخبر أيضاً محملًا بشعور حاد بالندم على فرص شخصيته. لكنني أضفت فرصة في تطوير علاقة مستدامه والتزامه السياسي ودفعه شخصيته. لطالما كنت معجبة بألمعية مايكيل الفكرية وال-zAZAM السياسي ودفعه شخصيته. لكنني أضفت فرصة في تطوير علاقة مستدامه معه. في الواقع، كانت تفاعلاتنا متقطعة: أولاً، في جامعة نورث وسترن، في منتصف التسعينيات، عندما كان أستاداً زائراً وأنا أستعد للمغادرة نحو «نيو سكول»؛ ولاحقاً، في سلسلة من المؤتمرات والندوات، حيث ناقشنا ماركس وبولاني، غرامشي ودو بوير، وكل ذلك كان بغية توضيح آفاق التحول نحو الاشتراكية الديمقراطية. كانت كل من هذه اللقاءات مثمرة في حد ذاتها، ولكنها أيضاً كانت جبلي بإمكانات مستقبلية. في نورث وسترن، تدخل مايكيل للدعم في لحظة صعبة وحساسة، بما لا يمكن وصفه إلا بكونه فعل إيجاري من الكرم العفوي. في المؤتمرات، أشركتني في نقاشات لامعة وشفافية، دفعوني للتفكير بشكل أعمق وأكثر نقدية. لم أدرك إلا الآن، إزاء فقدمه، إلى أي مدى كان مهماً بالنسبة لي. وأيضاً لم أشعر إلا الآن، بقدر ما فاتني عدم سعيه إلى محاورته بشكل مستدام.

< إلهام مشترك

بالتأكيد، كان هناك الكثير مما يمكن مناقشته، نظراً لما كان يجمعني بمايكيل. صحيح أنه كان عالم اجتماع بريطاني المنشأ درس أنظمة العمل في ثلاث قارات، بينما كنت أنا فيلسوفةً أمريكيةً محليةً نسبياً. لكن كلينا من جيل طفرة المواريد ومن اليساريين الجدد، وقد وجدنا أصواتنا الخاصة في لحظة استثنائية من المذا التحرري العالمي. ومن خلال تلك التجربة، التزم كل منا بتطوير ماركسية لعصر «ما بعد الشيوعية». قادر على أن تدمج دروساً صعبة التعلم من تشوّهات الاشتراكية السابقة مع رؤى لا غنى عنها، وإن كانت غير متطورة، من الحركات الاجتماعية الجديدة. لكن أكثر ما يدهشني الآن هو أننا كلينا وجدنا مادةً خصبةً لهذا المسعي لدى العديد من المفكرين أنفسهم.

كارل بولاني هو مثال واضح على ذلك. فقد وجدنا فيه أنا ومايكيل مفكراً يُكمّل ماركس ويتّبعه. غير مقتنيين بهن يصوّرون «الكارلين» (ماركس وبولاني) بوصفهما متعارضين تعارضاً تاماً، وقد طورنا بشكل مستقل قراءاتنا لتحول العظيم باعتباره يقدم فهوماً موسّعاً، عابرة للماركسية، وللأزمات الرأسمالية والنضال الاجتماعي.

< طرق جديدة لفهم النضالات في المجتمعات الرأسمالية

بالنسبة لكلينا، طرُح بولاني حول السُّلْعَنة الوهمية للأرض والعمل والنقود، كشف عن الجذور البنوية في المجتمع الرأسمالي للأزمات الإيكولوجية، والمالية وأزمات إعادة الإنتاج الاجتماعي - بالرغم من بُعد الأُوّلَيَن من «الاقتصاد». لكن صياغة مايكيل لهذه النقطة كانت فييدة من نوعها، إذ استحضرت بولانيّاً غير جوهريّ النزعة، وعميق الماركسية. وحسب تعبير بوراووي، تخزل السُّلْعَنة

”من الواضح أن النخب الليبرالية تفتقر إلى الإرادة للدفاع عن النظام الذي منحها القوة في يوم من الأيام“

أمريكا عظيمة مجددًا)، بشكل نسقي، المؤسسات المركزية للمجتمع المدني الليبرالي الديمقراطي؛ إذ تمرّق استقلالية المؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية؛ ووسائل الإعلام المستقلة عن الدولة وأجهزة الدولة المستقلة عن الحكومة؛ والشركات الخاصة والمنظمات غير الحكومية والجمعيات المهنية. وبالتالي، من خلال تقويض القنوات «الطبيعية» للمجتمع البرجوازي لتوليد الرضا، فإنّها تحول التوازن الهيمني لصالح القوّة. وتغدو مرئيّة هذه الأخيرة واسعة الآن، سواء كواقع قايس أو كتهديد وشيك. تُعسّكُ الشرطة، ويُقمع الاحتجاج، ويُحتفظ المهاجرون في الشوارع على أيدي رجال ملثمين ويُرّحّلون فورًا. ويُخيّم الخوف على الأرض. وإذا كان هذا المشهد يبدو إلى حدّ كبير أشبه بفاحشة ناشئة، فإنه ينذر بنوع جديد من الفاشية، يستحضر شبحًا ليس حركة اشتراكية فعلية، بل لـ «يسار ووك»(“woke Left”) كان متحالّفًا مع النيوليبراليين ويتلقّى دعماً ضئيلاً من قبل الطبقة العاملة.

< كيفية الدفاع ضدّ الفاشية (الأولية): تعبيئة رؤى بوراوي >

أين، من هذا المنطلق، يمكن أن تتركز معارضة فعالة؟ بالتأكيد ليس ضمن النخب الليبرالية. بعيداً عن القيام ب الدفاع ذاتي نضالي منسق عن المجتمع المدني، فقد تخلّت الشخصيات البارزة في تلك الطبقة عن أي تفكير في العمل الجماعي وسارعت للتفاوض على صفات خاصة. من الواضح أنّهم يفتقرّون للإرادة للدفاع عن النظام ذاته الذي مكّنّهم ذات يوم. المعارضة الفعالة، إنّ حضرت، فإنّها ستأتي من مكانٍ آخر.

هل يمكن مثل هاته المعارضة أن تأتي من الأسفل؟ هل يمكن أن تنبثق كتلة تاريخية بقيادة الفئات التابعة تكون قادرة على تشكيل معارضة ذات مصداقية للفاشية (الأولية)؟ من المفترض أنّ الهدف الرئيس مثل هذه الكتلة لن يكون استعادة التوازن «غير المرضي» بين القوة والرضا الذي «عادَ» ما يقوى السلطة البرجوازية دعماً لهيمنة الطبقة الرأسمالية. بل سيكون هدف، بالأحرى، تجاوز مثل هاتي السلطة والهيمنة. غير أنّ قابلية مثل هذه الكتلة أن تحيّا، تقتضي من جماهير حرجنة من الذّوات التابعة من تجاوز هؤلٰء من سوء الاعتراف الشام التي تفصل بينها اليوم — ولا سيّما الهوّات العرقية. فهل لا تزال مثل هذه السيرة قابلة للتصور؟

كان مايكيل الكثير ليقوله في هذا الشأن. إنّها لخسارة فادحة لليسار أنّ صوته قد غاب الآن. ومع ذلك، ولحسن الحظ، ترك لنا كنزاً غنيّاً من التفكير الدقيق والتخييلي الذي يمكننا الاستفادة منه. من خلال تعبيئة رؤاه لتوضيح آفاق التحرّر الحالية، يمكننا أن نكرّم على أفضل وجه هذا المفكّر الإنساني اللامع. ■

توجّه كل المراسلات إلى نانسي فرايزر على frasern@newschool.edu

الدولة الموسعة (أو المتكاملة)، الكتلة التاريخية، أزمة السلطة، الفراغ السلطوي (فترة خلوّ العرش)، الثورة السلبية، التبعية، الهيمنة والهيمنة المضادة، الحسن العام والحسن السليم، حرب الواقع وحرب الحركة، الفوردية و«الأمركة».

لقد ارتبطنا أنا ومايكيل أولًا من خلال توظيفي لبعض من هذه الأفكار في مقال في مرحلة مبكرة. معتمدةً بشكل كبير على الحدس، قد استحضرت، على نحوٍ شبه واعٍ، استعاراتٍ غرامشية لتحليل «تضالالت من أجل الحاجات» في مرحلة متاخرة من رأسمالية دولة الرفاه الاجتماعية الديمقراطيّة. هذه النضالات، التي دارت في مجال للـ«الاجتماعي» محددٌ تاريخياً، حيث أصبحت الأمور «الخاصة» سابقاً موضع نزاع. لم تقتصر هذه النضالات على إشباع الحاجات فحسب، بل شملت أيضًا تأويلاً لها وفي أنماط الحكومية التي يمكن من خلالها تلبيتها وتجنيتها داخل أجهزة الدولة. كانت أيضًا نضالات حدود، ولكنها، خلافاً لبولاني، شكلت «حركة ثلاثية»، والتي لا تضمّ مجموعتين فحسب بل ثلاثة مجموعات من الخصوص: ناشطين راديكيّلين ناضلوا من أجل الطابع السياسي العام للحاجات «الهاربة» ومن أجل تصريفها بشكل تشاركيٍّ ديمقراطيٍّ؛ ومحافظين قد استهدفوّا دفع تلك الحاجات مرة أخرى إلى معامل الأسرة والسوق التي سبق أنْ تُرْجع عنها الطابع السياسي؛ وتكلّفوا بدور ليرياليين تقدّمين سعوا لترجمة هذه الحاجات إلى لغة إدارية وإشباعها بيرورقاطيًّا. أدرك مايكيل، بشكل أفضل وأسبق مما فعلت، إلى أيّ مدى يدين هذا الوصف لغرامشي. لقد ألهمتني مناقشته لهذا العمل عام ٢٠٠٣ للقيام بدراسة منهجية لدفاتر السجن في ندوة دراسات عليا. وأنا ممتنة لذلك إلى الأبد.

< حينما يصبح الحكم الهيمني قسرياً بدلاً من توافقي >

كذلك، أدرك مايكيل كم يمكن لغرامشي أن يقدم لنا الآن، في ملمح تاريخي أكثر قتامة بكثير. في عصر يهيمن عليه التزامبية (ونظيراتها العديدة عبر العالم)، من المفيد التذكير بالتبالين الشيوعي الإيطالي العظيم بين العمل «ال الطبيعي» للحكم الهيمني في مجتمع ليريالي ديمقراطي متقدم، وانحدارها السياسي المرضي إلى الفاشية. تفسير مايكيل لوصف غرامشي يعدّ مموجباً. شارحاً هذا المفهوم الأخير للحكم الهيمني على أنه مزيج متوازن من الرضا والقوة، وهو يذكرنا أنّ الدولة الرأسمالية في شكلها غير المرضي هي، بالنسبة لغرامشي، « مجرد الخندق الخارجي، الذي [يقف خلفه] نظام قويٌ من الحصون والأعمال التراوية» أي المجتمع المدني. وبقدر ما يرسخ هذا «النسق» القبول بسيطرة الطبقة الحاكمة، فإنه يقلّل من الحاجة إلى القوّة المباشرة ومن مرئيتها.

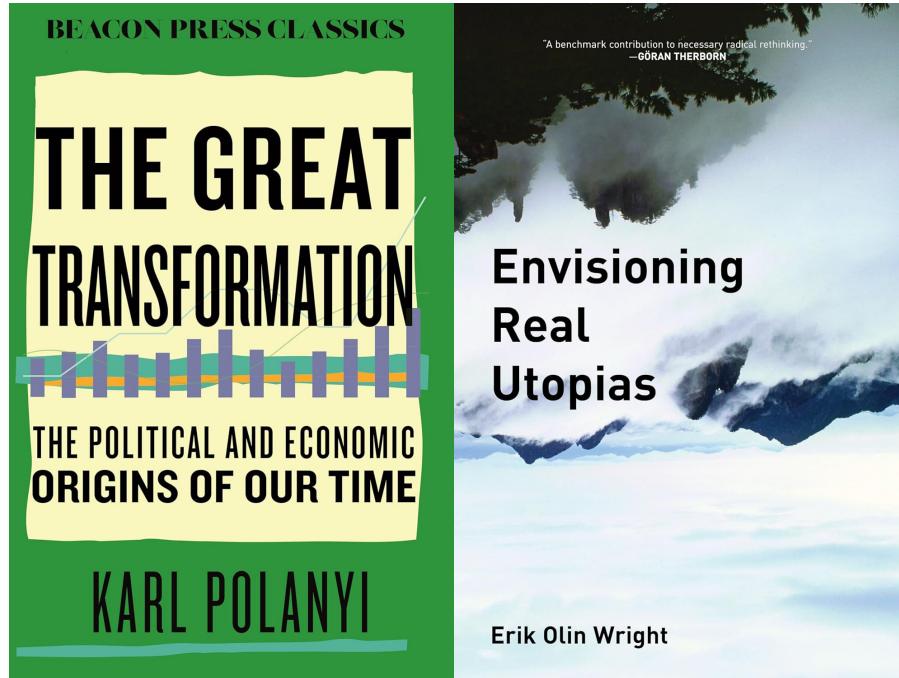
اليوم، بطبيعة الحال، تتعرّض تلك الحصون والأعمال التراوية للهجوم - وليس من اليسار. ففي الولايات المتحدة، على الأقل، تُتحقّق دولة «ماغا» (MAGA) («اجعلوا

< السوسيولوجيا العمومية مايكل

واقتصاد الانتبا

بقلم نغاي-لينغ سوم وبوب جيسوب، جامعة لانكستر، المملكة المتحدة

كتاب «التحول الكبير» لكارل بولاني (دار ي يكون برس، طبعة ٢٠٢٥)، وكتاب «تصور اليوتوبيا الواقعية» لإريك أولين رايت (دار فيرسو، ٢٠١٠).



استند مايكل إلى البحث النظري والتجريبي لـ إ. أو. رايت حول "اليوتوبيا الواقعية". حيث لا تلغى هذه اليوتوبيا الأسواق أو الدولة، بل تخضعها لتنظيم المجتمع الذاتي الجمعي. وهي تعيد المجتمع إلى الاشتراكية وتوضح كيف أنها، بصفتها حركات مضادة، تحد من خلال مقاومتها لأشكال مختلفة من السلعنة، مثل معارضة ويكيبيديا لسلعنة المعرفة. ورأى مايكل في الماركسية السوسيولوجية أن السوسيولوجيا العمومية مناسبة تماماً لدراسة السلعنة الوهمية وكيفية تفاعل المجتمع معها.

< اقتصاد الانتبا وعصر ترامب ما بعد الحقيقة

أكّد مايكل في مقابلته الأخيرة قبل وفاته المؤسفة سنة ٢٠٢٥، على أهمية عصر ترامب. ويمكن النظر إلى هذه الحقبة كونها المرحلة الأخيرة من الموجة الثالثة للمركتة، لا سيما من حيث سلعنة الانتبا. في هذه المرحلة، في هذه المرحلة، يتم توليد المعرفة القائمة على البيانات السلوكية من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من خلال استراتيجيات الألعاب القائمة على التحفيز، مثل الاختبارات التفاعلية، والشراكات مع المؤثرين، والعملات الافتراضية، وأنظمة النقاط الحصرية، والشبكات الاجتماعية، إلى جانب الخطابات والصور المبالغ فيها التي ترمي إلى زيادة التفاعل والارتباط بالمحظوظ. حيث ثُبقي هذه الممارسات المستخدمين منخرطين ومحتجزين ضمن اقتصاد الانتبا. وعلى هذا النحو، يغدو انتباه الإنسان، من منظور نقديّ مورداً نادراً يمكن سلعنته لاستخلاص قيمة تبادلية. حيث تتنافس الشركات وتهافت لجمع البيانات وجذب الانتبا، والتقطاه، وتصفيته.

<<

ت عد هذه المقالة تكريماً للفكرة المبتكرة والمؤثرة مايكل بورواي حول "علم الاجتماع العمومي"، وتستعرض كيف يمكن تطوير هذه الفكرة لمواجهة تحديات اقتصاد الانتبا وعصر ما بعد الحقيقة في زمن ترامب. نظرياً، ميّز مايكل بين ماركس وبولاني، وحاول الجمع بين عملهما وتوسيعه، لا سيما عند البحث في الموجات الثلاث لعملية المركتة، حين دراسة الرأسمالية، والسلعنة، والاستغلال، والتفاوتات.

< مايكل وماركس وبولاني

كان ماركس في نظر مايكل، منظراً لاستغلال الرأسمالية داخل عملية الإنتاج، إذ ترَّك اهتمامه أساساً على الموجة الأولى من المركتة. في المقابل، كان بولاني منظراً لمسألة السلعنة داخل العلاقات السوقية، وقد تناول الموجتين الأولى والثانية. وقد لاحظ كيف أن مركتة السلع الوهمية (fictitious commodities) — العمل، وأعمال، والأرض) — وهي سلع ليست مُنتجة مباشرة بقصد البيع رغم أن لها سعرًا — أدّت إلى فشل الأسواق ذاتية المجتمع، ودفع المجتمع إلى التدخل لتنظيمها بما يحفظ القيمة الاستعملية لتلك السلع. وقد وسع مايكل تحليل بولاني ليشمل موجة ثالثة من المركتة بدأت مع التيوليرالية في ثمانينيات القرن الماضي. وشملت هذه الموجة سلعنة الطبيعة، مما أدى إلى تدهور النظم البيئية. إضافة إلى سلعنة المعرفة في صورة حقوق الملكية الفكرية ونظام الجامعة.

استمر هذا الدمج الذي أقامه مايكل بين ماركس وبولاني سنة ٢٠٢٢ عندما

استجابةً للدعوة مايكل الصريحة لعلم الاجتماع العمومي، تهئ هذه التطورات أرضًا خصبة لممارسة الحركات المضادة على المستوى العالمي في سياق الموجة الثالثة من مرحلة اقتصاد الانتباه في عصر ما بعد الحقيقة. تُعدُّ اليوتوبيات الواقعية حلقة الوصل بين ماركس وبولاني في هذا السياق، إذ توفر مقاومة شعبية على المستوى القاعدي تُنافِس سلعة الانتباه والإدراك، مقاومة قاعدية تناهض تسليع الانتباه والإدراك، وإن كانت في الواقع لا تقدّم دامغاً إلى مستوى عالمي.

من أمثلة هذه المبادرات القاعدية ما يُعرف بـ«النشاط المناهض لسلعنة الانتباه عبر المنصات الالامركية، و«ملاذات الانتباه» الرقمية الخاصة بالتحرر من الاستخدام المفرط للتكنولوجيا على المستوى المحلي، والتي يمكن ربطها بمستويات وطنية وعامة للحدود.

بعيداً عن قضية المقياس، يغطي تسليع الانتباه القضايا الجزئية المتعلقة بالإدراك البشري والمشاعر والانفعالات، وكذلك الأساس المؤسسيـــالحوسبة الكبوري للانتباه بصفتها مورداً وعملةً، وتحكماً فيه من خلال إدارة المعلومات السلوكية.

قد تتطلب مثلاً هذه التحولات توسيع الخيال السوسيولوجي أكثر من أي وقت مضى. وقد تضطر الجماهير المرتبطة بالحركات المضادة إلى تصور الحاجة لإعادة تفعيل السوسيولوجيا العمومية والسياسية والنقدية والمهنية، فضلاً عن دمج مجالات معرفية متعددة بطرق ما بعد تخصصية لتعزيز معرفتنا الأكademie والجماعية، يشمل ذلك التوسيع خارج نطاق علم الاجتماع والتكيّف على الأفكار والروابط المستمدّة من علم النفس التقدي، والدراسات البيداغوجية والتربوية، والعلوم الحاسوبية، ودراسات الإعلام، وتحليل الخطاب، والاقتصاد المغایر، والاقتصاد السياسي، (الدوا).

ويهدف هذا إلى التصدي لموجة المركبة الفائقة للانتباه والإدراك، وتعزيز الانعكاسية الإبستيمولوجية حول "اليوتوبيات الواقعية"، إضافة إلى تعزيز الأداء المؤسسي-الفاعلي الأكبر لهذه الحركات المضادة عبر مواقع ومستويات مختلفة.

١) يُظهر بوليانى أن السلع ليست دائماً سلعاً بالمعنى الطبيعي حيث كانت بعض العوامل (عمل، طبيعة، المال، معرفة) من قبل تنظم اجتماعياً، ولا تُعدَّ موضوع بيع وشراء بالسوق. هي تحويلها إلى سلع "وهمة" (fictitious commodities). وهذا يدل على تغير حذري في تنظيم المجتمع.

توجّه كل المدراسات
إلى نغاي-لينغ سوم
n.sum@lancaster.ac.uk
b.jessop@lancaster.ac.uk وبوب جيسوب

وتحويله إلى أرباح. وتوسّط هذا السلعنة في اقتصاد الانتباه من خلال عمالقة وسائل التواصل الاجتماعي في وادي السيليكون Silicon Valley (مثل مارك زوكربيرغ من شركة ميتا). يجمع هؤلاء الفاعلون البيانات على منصاتهم، ويخزنونها في مراكز البيانات الخاصة بهم، ويعتّحّم هؤلاء في تصميم الخوارزميات والتقنيات القائمة على الألعاب والإقناع، والتي تهدف إلى توجيه انتباه المستخدمين وضمان بقائه مرّكزاً على منصاتهم ومواقعهم الرقمية. كما يزودون المستخدمين بعض المنتجات الإعلامية أو الاجتماعية والاقتصادية (مثل الهدايا الرقمية، والفيديوهات، وخلافات الأخبار، والشبكات الاجتماعية) قصد إغراءهم، والتأثير في آرائهم، وربما تشكيل النتائج الاقتصادية والسياسية للأحداث.

في هذا السياق، تُولد انتبهات الناس قيمةً تبادلية، إذ يُعد الانتبهاء مورداً وعملة فيالآن ذاته. فمن حيث صفة المورد، يغدو الانتبهاء مهمًا في تعزيز المبيعات وفي التأثير. أمّا بصفته عملةً، يمكن استبدال الانتبهاء المعرفي والعاطفي والوجودي للمستخدمين بهدايا وخدمات تكنولوجية معينة (مثلاً تذاكر الفعاليات الافتراضية، والتفاعل الاجتماعي، وعمليات البحث المطلوماتي عبر الإنترن特)، وعليه، يتخلّى المستخدمون في المقابل عن بعض السيطرة على هذا الانتبهاء نفسه (مثل الاندماج على الإعلانات وعلى ما يعرف بالتغريدات السياسية السريعة) لصالح المؤثرين وتجار الانتبهاء. ويستمدّ هؤلاء القيمة التبادلية من خلال إعادة بيع تلك السيطرة للمعلنين الذين يدفعون وفقاً لقدر ما يتحقق من انتبهاء (مثلاً مدة مشاهدة المستخدمين للإعلانات وعمقها). و بالمنحى ذاته ، يستحوذ المؤثرون على انتبهاء الفئات المستهدفة عبر سائل منصات إنستغرام وتيك توك وإكس والتغريدات، ساعين بذلك إلى تحويل تأثيراتهم الاقتصادية والسياسية إلى مصدر للربح.

كما تُعيد اقتصاد الانتباه تشَكِّل المشهد السياسي والاجتماعي. في سياق يُعدُّ فيه ترامب نموذجاً بارزاً للمشاهير الساعين إلى جذب الانتباه في عصر ما بعد الحقيقة، حيث أُسّس العلامة التجارية ترامب واستغلها لاحقاً بصفته سياسياً. وهو يستقطب الانتباه من خلال وسائل التواصل الاجتماعي (مثل فوكس نيوز، ومنصة إكس، وتروث سوشال). يوصفها أدوات خوارزمية للتترشيح وغرف صدى تربط الأشخاص والجماعات ذات التوجهات السياسية المتشابهة. إذ تُمْكِّن هذه المنصّات من تصوير خصومه في شكل كاريكاتوري، واستخدام شعارات ومقاطع خطابية تحفّز الحشود (مثل "لنجعل أمريكا عظيمة من جديد")، والتي تؤثّر بسرعة في المشاعر (مثل الآمال والمخاوف والقلق) لدى قاعده الشعوبية. ويُجبر مثل هذا التوجه السياسيين الآخرين على التفاعل مع ميماته المبسطة وأسلوبه المسرحي، مما ينحه القدرة على تشكيل المجالات الخطابية والعاطفية والسياسية. تؤثّر إعادة هندسة التواصل السياسي هذه في عصر الانتباه في الإدراكات والانفعالات الفردية-الاجتماعية، وتسهم في استقطاب المجتمع وفق خطوط حديدة.

السؤال له حما العمومية والتفكير ما بعد التخصص، عند ما يكتب

مايكيل بورااوي <

المتحرر من القيود

بقلم هايدري غوتفريد، جامعة وينستون ساتلز، الولايات المتحدة الأمريكية

يمثل كل من كتابي «الإثنوغرافيا المتحررة» (*Ethnography*) و«الإثنوغرافيا العالمية» (*Unbound Ethnography*) حلقات في سلسلة جينيالوجية تعود جذورها إلى مدرسة شيكاغو وجامعة مانشستر. يعيد كتاب الإثنوغرافيا العالمية التفكير في معنى «الحقل»، من خلال إبراز المفارقة الظاهرة في أن تكون الإثنوغرافيا «عالمية» بينما طرحت منهجهما، في الأصل، لدراسة المحلي. وبهذا، يحرر بورااوي الإثنوغرافيا من قيود الزمان والمكان. ثم يأخذ القراء في جولة تجريبية مدهشة بين عدد من المفكرين، من بينهم فريديريك جيمسون، ومانويل كاستيلز، وديفيد هارفي، وأنطونيو غيردنز، بحثًا عن نظرية تفسّر العولمة بالشكل الكافي. وفي هذا السياق، يعيش في الموضوعات المشتركة بينهم، ليقدم العولمة كعملية إعادة تركيب للزمان والمكان عبر آليات مثل: النزوح والاضغاط والتبعاد والانحلال. ومن هذه الشذرات الموضوعية، يقوم بورااوي بتجمع العناصر اللازمة لبناء نظرية في الإثنوغرافيا العالمية.

< الماركسيات السوسيولوجية

قاد الفضول الفكري المنشئ مايكيل في رحلات استكشافية في أعمال كبار المنظرين الاجتماعيين، بحثًا عن رؤى تجدد الماركسية السوسيولوجية لعصرنا. في مقالته «حكاية ماركسيتين» (*A Tale of Two Marxisms*) يستعيد بورااوي الموضوعات التي طرّها في المقارنة المباشرة بين غرامشي وبولاني. ورغم تقارب غرامشي وبولاني في استجابتهما للتناقضات والاختلافات التي تظهر في لحظات تاريخية معينة، فإن تعميق الحفر في أعمالهما يكشف اختلافاتٍ في التأكيدات النظرية وفي الحدود التي اصطدم بها كُلّ منها. يستعين بورااوي بـ«سيمون دو بوفار ونانسي فريزر» بوصفهما شخصيتين رئيسيتين في هذه «الدراما العائلية»، ليشير إلى ثغرة نظرية يعترف بأنه لم ينجح تمامًا في تجاوزها في أعماله الخاصة. فهو يتقدّم غرامشي وبولاني لعدم اكتراهما الكافي بالبنى الداخلية للعائلة عند تحليل السياسة في المجتمعات التي وصفاها. إذ ربط غرامشي، في مقالته المحورية «الأمريكانية والفوردية» وظيفة العائلة الأحادية (المونوجامية) بإدارة الإنتاج الفوري. أمّا بولاني فتعاملة مع العائلة كمحصن منيع في مواجهة تدميرية السوق وسلعة العمل. غير أنّ نسوية مايكيل تقف عند عتبة العائلة، بسبب محدودية الإطار النظري الذي اعتمد لفهم البنى الجندرية وعلاقتها بالطبقية.

< المنعطف النسووي

انطلاقاً من فكر بورااوي، ينتقل نموذج الاقتصاد السياسي النسوبي الأكثر قوة من الأساس الجزئية إلى البنى الكلية، ليُنظر لعملية تحويل أعمال الرعاية إلى أعمال نيوليبرالية. وتترکز إعادة النظر في فكر بولاني من منظور نسووي على فكرة أن العمل الإنجلزي سلعة وهمية، وعلى

لهمنتي دوره مايكيل للدراسات العليا حول الإثنوغرافيا في جامعة ويكسونسن محاولاتي البحثية الأولى لدمج النسوية مع الأساس الجزئية للماركسية الغرامشية، وذلك في دراسة بعنوان: «المرونة كنظام للضبط في قطاع العمل المؤقت». وقد تجاوز *Regulation in the Temporary Service Industry* تأثيره النظري البحثي، إذ قدّم لي دعماً عملياً في أولى تجاربي الإثنوغرافية. لقد كان مايكيل، الذي يعمل من المنزل، بمثابة الوسيط الذي ينقل لي عروض العمل القادمة من وكالة التشغيل المؤقت. ومن هنا، يستند إسهامي في هذا العدد الخاص إلى صلة شخصية بالإضافة إلى تفاعل نقدي مع أعماله، من أجل الكشف عن الجذور الفكرية لدراساته في العمل، الممتدة من دفاتر السجن لأنطونيو غرامشي وصولاً إلى حواراته اللاحقة مع كارل بولاني.

< المنعطف الإثنوغرافي

في ما يخص هذه الجهود، من المفيد الاستشهاد بتأملات بورااوي حول دونالد رو، «عام الاجتماع والعامل الكادح»، وذلك في الندوة التي عقدت بمناسبة الذكرى العشرين لكتاب صنع التوافق (*Manufacturing Consent*). بدأ مايكيل ردهًّا بأسلوب ساخر، مجادلاً بأنه «ينبغي علينا إحياء ذكرى أسلافنا، ولكن تمجيدهم ووضعهم فوق قاعدة قمثال يجمدهم في الزمن، ويفوت علينا رؤية ما يجعلهم مهمين بالنسبة إلى الحاضر». وبين العبارات الختامية في ذلك المقال، بنؤتها وعمقها، جوهر مايكيل: المعلم، والناشط، والعالم. إذ قال: «لقد بدأ بوصفه عام اجتماع يدرس العمل الصناعي، لكن انتهى به المطاف إلى أن أعاد رؤاه إلى موطنها، مستكشفًا مقاربات جديدة لعمل عالم الاجتماع».

لا يقتصر إرث مايكيل على إسهاماته النظرية. فقد جمع كتابه صنع التوافق (*Manufacturing Consent*) بين دراسة حالة معقّلة للحياة اليومية من مدرسة شيكاغو وبين التقليد المادي للماركسية الغربية، ليكون استباقياً وممهداً للمنعطف الإثنوغرافي في الماركسية. لاحقاً قام بورااوي ومجموعة من المتعاونين، في كتاب الإثنوغرافيا العالمية (*Ethnography*) و«الإثنوغرافيا المتحررة» (*Global Ethnography*), بتجذير الممارسة الفنية للإثنوغرافيا في تاريخ محلي متعدد، من مكاتب الرعاية الاجتماعية في هنغاريا، إلى الرجال المشردين في شوارع سان فرانسيسكو، مروراً بموظري البرمجيات في إيرلندا، وصولاً إلى الممرضات القادمات من كيرالا في الهند للعمل في «المدينة المركزية» في الولايات المتحدة. وقد استعانت السوسيولوجيات النسوبيات بمنظوره المليكيرو-سياسي في دراسات رائدة حول العمل العاطفي، وحول الأشكال المنتجة والمفاد إنتاجها من الذكورات والأوثاث داخل المصنع والمكتب ومشهد الخدمة.

”ماركسية اجتماعية متعددة“ لعصرنا“

فالأسر ذات الدخل المحدود تعتمد على عملٍ غير رسمي وغير مُسلعن، في حين تستطيع الأسر ذات الدخل المرتفع تحمل كلفة خدمات السوق، والاستفادة بصورة أكثر مباشرة من الإعفاءات الضريبية والتحويلات النقدية، غير أن ذلك يعني في الغالب عملاً شديداً السلعنة. وفي هذه اللحظة التاريخية، تعيد الحركات المضادة للهيمنة تخيل التنظيم الاجتماعي للرعاية والعمل الإنجافي.

< إرث دائم

تقع هذه السيرة الفكرية الموجزة في بيئه سياسية مماثلة يطاردها شبح الاستبداد. إذ تستدعي الماركسية العلمية عند بوراوسوي، وقد تشكلت عبر منظور غرامشي/بولاني/نسوي، اتخاذ موقع نقيٍّ يتيح بلوغ «اليوبيات الواقعية» الحقيقة التي تصوّرها صديقه ورفيقه إريك أولين رايت. ويبرز من خلال هذا الفكر، بدءاً من منطقة كوبريلت في زامبيا أو ورشة الآلات في شيكاغو وصولاً إلى الدعوات الأخيرة لعلماء الاجتماع للتعبير عن آرائهم بشأن فلسطين، ضرورة تقديم رؤى تاريخية تكشف الصلات بين تحولات الماضي التي تشير إلى مستقبل محتمل.

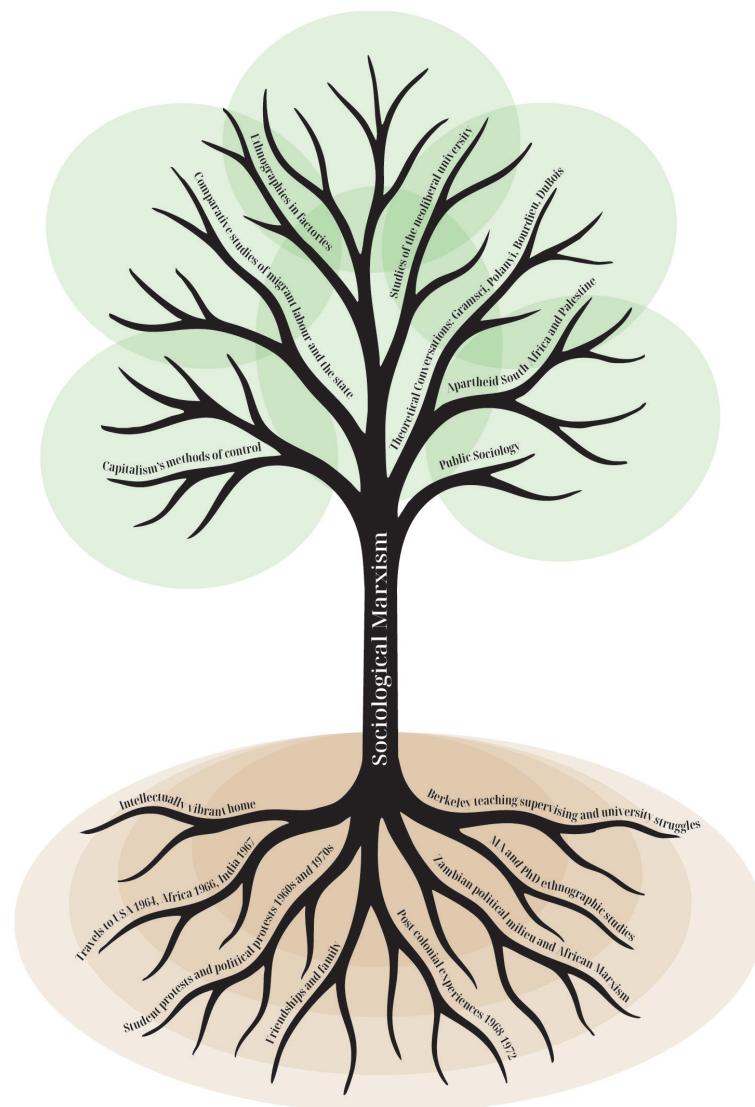
توجه كل المراسلات إلى هايدى غوتفرید على البريد الإلكتروني
Heidi.gottfried@wayne.edu

الحركة المضادة التي تقف وراء سلعنة الرعاية. إذ أصبحت أعمال الرعاية، في العديد من المجالات، خاضعة للأسوق. ويؤدي تزايد سلعنة العلاقات الحميمة إلى إدخال المزيد من جوانب الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية في السوق، حيث تندمج في دوائر رأس المال. ينطوي التكاثر الرأسمالي على تركيب معقد تجمع بين عملٍ إنجافي مأجور مُسلعن، وعملٍ إنجافي غير مأجور غير مُسلعن، بما يضمن استدامة العمليات الحافظة للحياة. وليس العمل غير المأجور سوى عنصري واحد في إنتاج الأسرة، الذي يقوم أيضاً على سلعٍ تُقْتَنَى بالأموال المتاتية من العمل المأجور، وكلاهما شرطٌ لا غنى عنه لبقاء الأسرة في ظل النظام الرأسمالي. غير أنه يوجد تناقض قائم بين اندفاعه رأس المال إلى استخلاص الربح من الأنشطة الإنجابية المسلحنة، وبين المنافع المقابلة التي يوفرها العمل غير المسلحنة من خلال تحمله جزءاً من كلفة إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الرأسمالية الأبوية والمُؤَدِّلة عرقياً. وتشكل الفوارق الطبقية، المتقاطعة مع الجنسن ووضعية الهجرة، صميم ديناميات عمل الرعاية المنزلي، سواء في صيغته غير المسلحنة أو المسلحنة إذ يقوم نُطُّ الخخصة الواسعة وتسليع الأنشطة الإنجابية على الانقسام الطبقي، غالباً ما يتقطع مع البُعد العرقي.

< شجرة الماركسية السوسيولوجية عند مايكيل بوراوي >

بقلم ميشيل ويليامز، جامعة ويتواترساند، جنوب أفريقيا

شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بوراوي.
المصدر: ميشيل ويليامز



إلى جنوب أفريقيا، ومع مرور السنوات أصبح صديقاً مقرباً جداً، وظلَّ مرشدًا ومعلِّماً على الدوام. كان واحداً من أشدّ نقادي صرامة، لكن، في نفس الوقت، من أكثر حلفائي دعماً. ولهذا سأكون بلا شك متخيِّزة، في محاولتي تأطير إسهام مايكيل في علم الاجتماع والماركسية عبر حياته الغزيرة بالعطاء، إذ يعكس، ما أقدمه هنا، منظوراً خاصاً لطالبة وصديقة تعلمت الكثير من

لقد فقدنا في الثالث من فبراير/شباط ٢٠٢٥ الروح التي لا تعرف الكلل والعقل الاستثنائي لمايكيل بوراوي. فقد أنهى عمل عنيف ولا إنساني ارتكبه سائق فار في أوكلاند، كاليفورنيا، مسيرة هذا العالم الأسطوري. كان مايكيل المشرف على رسالتي الماجستير والدكتوراه اللتان أنجزتهما بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٥. كما كان يزورني بانتظام بعد أن غادرت بيكلوي وانتقلت

أهم علماء الاجتماع في جيله. كان أشياء كثيرة في آن واحد: معلمًا أسطوريًا ومشرفاً متغانياً وصديقاً وزميلاً متعاطفاً وماركسياً غير عقائدي وباحثاً استثنائياً.

معلمها ومرشدتها. فقد كان يجد دائمًا سبلًا لتحسين كل ما أقدمه ليقرأه، وأنا على يقين بأن هذا النص ليس استثناءً، وإن كنت آمل أن يبتسم إعجاباً بفكرة «شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بوراوي» التي اقترحها.

< جذع الشجرة

كان بوراوي عامًا اجتماعيًّا متحمساً حماساً تبشيرياً وماركسياً لامعاً استحوذت عليه أسئلة المستقبلات التحررية ورغبة تحقيقها. وقد رأى دور علم الاجتماع في جعل الالمرئي مرتباً، ورأى دور الماركسية في توفير الأدوات اللازمة لفهم القوى الاجتماعية الكامنة وراء هذا الالمرئي. وقد جعله طرح الأسئلة المألوفة بطريقٍ غير مألوفٍ بالغ الابتكار. فأثناء عمله في مناجم النحاس في زامبيا، وجه اهتمامه، مثلاً، إلى كيفية استجابة الادارة للتحولات التي فرضها الاستقلال عن التحكم الاستعماري بدلاً من التركيز على كيفية تفاعل العمال معها وهو ما قاده إلى الكشف عن « حاجز اللون » الصاعد مع دخول الأفارقة إلى موقع الإدارة. وفي مثال آخر على مقارنته غير المألوفة، طرح الأسئلة حول جدية العمال وكافية نشاطهم بدل البحث في مقاومتهم على أرض المصنع وذلك ضمن دراسة اثنوغرافية أجزءها حول مصنع في شيكاغو سعى فيها إلى فهم أعمق للرأسمالية وآلياتها في الضبط والسيطرة.

كان بوراوي يدرك أن الماركسية ستظل قائمة ما دامت الرأسمالية قائمة. وكانت تتطور الرأسمالية عبر الزمن، فإن الماركسية بدورها مطالبة بأن تعيد بناء نفسها لتتجسد إشكالات كل عصر وتحدياته. وقد اتّخذ هذا المنحى شكالاً محدداً في ماركسيته السوسيولوجية. فمن خلال استلهامه لأفكار غرامشي وبولاني، انشغل بدراسة مفاهيم تاريخية محددة للمجتمع، من أجل فهم قدرة الرأسمالية على الاستمرار من جهة واستكشاف فسحات الأمل الممكنة خارجها من جهة أخرى. وقد جعل منهجه الإثنوغرافي الأسس الدقيقة (الميكروية) للرأسمالية مرتباً، بينما عمل منهجه «الحالة الممتدة» الذي طوره على وصل هذه التحقيقات في العمليات الصغرى بعلم الاجتماع الكلي (الماكروي) وتوضيعها. وبذلك أدخل إلى الماركسية خصوصية تاريخية أسلحتها في بلورة تقاليد نظري ماركسي دينامي ومتعدد، كما أدخل إلى علم الاجتماع منهاجاً أنثروبولوجياً صيغ في زامبيا، أبرز الأهمية البالغة للتحقيقات السوسيولوجية الدقيقة (الميكروية) في بناء النظرية الاجتماعية.

كان فهم «المجتمع» ودوره في الرأسمالية حجر الزاوية لعلم الاجتماع والماركسية. ويوضح في مقالته الصادرة سنة ٢٠٠٣ بعنوان «amarcksie السوسيولوجية» كيف يشغل «المجتمع» الحيز المؤسسي الواقع بين الاقتصاد والدولة. وقد جادل، استناداً إلى فهم غرامشي الذي يعتبر المجتمع المدني فاعلاً متاخلاً مع الدولة وتصور بولاني «للمجتمع الفاعل» الذي يتغلغل في السوق، بأن الاشتراكية تتضمن إخضاع السوق والدولة لسلطة المجتمع.

< أغصان الشجرة

أعاد بوراوي صياغة الماركسية، أولاً، من خلال أعماله البحثية حول أنظمة العمل وإثنوغرافيات أماكن العمل ثم عبر تحويله إلى دراسة المجتمع المدني والحركات التي أفرزتها الرأسمالية المتقدمة. كان هذا انتقالاً من دراسة الطبقة العاملة ونقطة الاتصال إلى دراسة المجتمع المدني بوصفه المفتاح لتجاوز الرأسمالية. وبهذا رُكِّزَت المراحل الأولى من الماركسية السوسيولوجية، لدى بوراوي، على مكان العمل وارتباطه أيضاً بهجه الإثنوغرافي في دراسة الحالة الممتدة. إذ رأى، من خلال العمل في أرضية المصنع جنباً إلى جنب مع العمال الآخرين، كيف تولد الرأسمالية القبول داخل بيئته العمل بينما تواصل التكيف باستمرار مع الظروف المتغيرة. كما طور بالإعتماد على عدد من المقارنات، في مناجم النحاس في زامبيا ومع

كان مايكول بوراوي نموذجاً نادراً من الباحثين، لما اتسم به من التزام راسخ لا يلين طيلة حياته بكل من علم الاجتماع والماركسية. وقد سخر ذكاءه الفذ في كلا المجالين، ونجح في إيجاد سبل لدمجهما بطريقٍ بالغة الخصوبة والابتكار. ويعود هذا الالتزام المزدوج، جزئياً، إلى سيرته الشخصية. فقد وصل مايكول إلى علم الاجتماع والماركسية عبر تجربة معيشية عميقة، انغرست آثارها في إحساسه بالعدالة وفي افتتانه بالعالم الاجتماعي. كان والداه يهوديان روسيان غادراً روسياً إلى ألمانيا في عشرينات القرن الماضي، حيث حصل على درجتي الدكتوراه في الكيمياء، ثم غادراً ألمانياً إلى إنجلترا في ثلاثينيات القرن نفسه مع صعود هتلر إلى السلطة.

كان منزل والديه فضاء نابضاً بالحياة الفكرية ومشبعاً بالانخراط السياسي. وفي صيف عام ١٩٦٤، أبحر بوراوي عبر المحيط الأطلسي على متن سفينة شحن نرويجية، وقضى ذلك الصيف متنقلاً في أنحاء الولايات المتحدة، ببيع الكتب لصالح بائع كتب نيويوركي. كان البلد يغلي بطاقة اجتماعية كثيفة: حركات حرية التعبير وحركات الحقوق المدنية والاحتجاجات المناهضة لحرب فيتنام والانتفاضات الحضرية. غرسَت تلك الرحلة، في روح فتى في السابعة عشرة من عمره، بذور خيالٍ سوسيولوجيًّا أخذ يجد مرايسه خلال السنوات اللاحقة، أثناء تجواله في الهند متنقلاً في قطارات الدرجة الثالثة وفي رحلاته عبر إفريقيا متنقلاً بالاعتماد على التوصيل المجاني (البيتشاهيك - hitchhiking).

عمل بوراوي بعد تخرّجه من جامعة كامبريدج بشهادة في الرياضيات كصحفي، في جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا، ثم انتقل، بعد ستة أشهر، إلى زامبيا التي كانت قد نالت استقلالها حديثاً، أين اشتغل في إدارة الموارد البشرية بشركة كبرى متعددة الجنسيات، تعمل في مناجم النحاس. كانت جنوب إفريقيا آنذاك مشحونة بطاقة سياسية متقدمة، على نحو مشابه للحبيبة الاجتماعية التي عاشها في صيف عام ١٩٦٤ في الولايات المتحدة، تتعجّل بالتحرّيض والنضال ضد نظام الفصل العنصري وبكافحات مناهضة للإمبريالية.

تعرف بوراوي على الماركسية وديناميات ما بعد الاستعمار وتقاطعات الطبقة والعرق في زامبيا. وتبولرت رحلته نحو علم الاجتماع والماركسية حين التحق ببرنامج ماجستير في علم الاجتماع بالجامعة في نفس البلد. وقد أتّاح له قسم علم الاجتماع، الذي كان يضم ثلاثة أعضاء فقط، التعرّف على الماركسية ومنهج «الحالة الممتدة» (The Extended Case Method) والإثنوغرافيا، وصيغ تحليل العرق، والطبقة والطائفة. وهكذا أدرك قوة علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية في فهم العالم وترسّخ حبه للاقتصاد. فقد وفر اقتنان علم الاجتماع بالماركسية، بالنسبة لبوراوي، أدوات قوية لفهم العالم ووضع الأسس الالزمة للتغيير نحو الأفضل.

وبالفعل، تشكّل لديه خلال رحلته الشخصية في اكتشاف العالم ذلك الوفاء الراسنخ لكل من علم الاجتماع والماركسية. أدخل علم الاجتماع في حوارٍ حي مع الماركسية، ليفتح أفقاً جديداً فيما يعرف بالماركسية السوسيولوجية وهي فرع غير عقائدي من هذه الأخيرة، يضع المجتمع إلى جانب الدولة والاقتصاد في مركز التحليل. ولم يجد بوراوي يوماً عن هذا المسار رغم صبره المحدود إزاء الاستعراض الخطابي الرائج الذي صادفه كثيراً في الأوساط الأكademية. وأصبح، على مدى الخمسين عاماً التالية، واحداً من

المحليات لكنه في الوقت نفسه يشير إلى البعد العالمي.

< شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بوراوي

ربما يمكننا تصوير الرحلة الفكرية الاستثنائية لبوراوي بأفضل طريقة من خلال شجرته وتطبيقاتها على الماركسية السوسيولوجية بموازاة شجرة الماركسية التي وضعها هو نفسه سابقاً، إذ تُمْ بوراوي جذوره السوسيولوجية والماركسية انطلاقاً من جسمٍ معرفِي هائل. وبهذا يشكّل منزل طفولته المفعم بالحيوية الفكرية وسنواته الأولى من السفر إلى الخارج ولقاءاته مع مجتمعات ما بعد الاستعمار وعلم الاجتماع المنخرط والماركسية الأفريقية في زامبيا والاحتجاجات الطلابية والسياسية والتعليم والدراسات المقارنة وقوة النظرية الاجتماعية وفهم قوى الرأسمالية، جذور شجرته.

نمت الجذور لتشكل جذع الماركسية السوسيولوجية. ومن هذا الجذع تفرّعت أغصان قوية تضمنَت دراسات حول القوى الميكروية في المجتمع في زامبيا وشيكاغو والمجر وأبحاثاً حول العمالة المهاجرة والدولة ونقاشات نظرية مع غرامشي وبولاني وبورديو ودو بوا ودراسات عن الجامعة النيوليبرالية وتحليلات مقارنة لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وفلسطين، إضافة إلى علم الاجتماع العمومي (انظر المخطط).

لم ينظر بوراوي إلى الماركسية بوصفها نموذجاً ثابتاً، بل باعتبارها تقليداً نظرياً متطرّراً يساعد في إلقاء الضوء على تحقيقات محددة حول كيفية عمل الرأسمالية ووسائلها في السيطرة. وبهذه الطريقة، تغدو الماركسية السوسيولوجية حيّة، كشجرة تنمو وتتفّرع باستمرار، تتولد منها أفكار جديدة على الدوام، وتُعاد من خلالها قراءة التحليلات السابقة وإعادة تشكيلها.

وعلى الرغم من أنّي حاولت في هذا المقال القصير تصوير المساهمة الاستثنائية التي قدّمها بوراوي للماركسية السوسيولوجية، فإنّي لا أزال أملس السطح فقط. فهناك الكثير مما يمكن استلهامه من كتاباته الغزيرة. وبالنسبة لأولئك الذين حالفهم الحظ بأن يكونوا طلابه أو زملاءه، فإن مذهلاً يمكن الرجوع إليه والاستفادة منه.

شكر خاص لجوآن موريسون على المساعدة في مخطط الشجرة، ولقيشاوس ساتغار وبير إيفانز على تعليقاتهم حول هذا المقال. ■

توجه جميع المراسلات إلى ميشيل ويليامز على العنوان التالي:

michelle.williams@wits.ac.za

عمال الهجرة في كاليفورنيا وجنوب أفريقيا وفي المصانع في شيكاغو والمنطقة «حيّة» أسهمت في تسليط الضوء على الديناميكيات المتغيّرة باستمرار للرأسمالية من خلال الأساس الميكروية في بيته العمل.

واجه بوراوي، بعد سلسلة من الدراسات الإثنوغرافية المحبطة في روسيا وأواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، أسئلة حول تقهقر الاشتراكية إلى الرأسمالية بدلاً من تطور الرأسمالية إلى الاشتراكية. كان سقوط الاتحاد السوفييتي نقطة تحول بالنسبة له، إذ وضع أدوات المصنع جانباً وانتقل من الأساليب الإثنوغرافية إلى الانحراف النظري في الماركسية. بدأ بالتفكير من خلال الماركسية السوسيولوجية وانخرط بعمق في مشروع «اليوتوبيا الواقعية» لإيريك أولين رايت. ثم انتقل إلى مناقشات بين الماركسية وعدد من العلماء: غرامشي وبولاني وبورديو ودو بويز. ومع صعود النيوليبرالية وظهور جيل جديد من حركات المقاومة، أدرك بوراوي أهمية النضالات التي تتجاوز نطاق مكان العمل.

وهكذا، شكّلت مغامراته النظرية انتقالاً من نقطة الإنتاج إلى المجتمع المدني بوصفه موقعاً مهماً ظهر فيه فاعلون تاريخيون جدد. ويقدم مايكيل ليفين (في مقالته لعام ٢٠٢٥ بعنوان «مايكيل بوراوي: ماركسي سوسيولوجي») طرحاً مشابهاً من خلال إظهار أن تدخلاته النظرية قادت بوراوي إلى مسارات فرعية مثيرة أعادت بناء الماركسية. في ذلك الوقت طُرِّب بوراوي «شجرة الماركسية» حيث يمثل ماركس وإنجلز جذع الشجرة الذي تنبثق منه عدة فروع: الماركسية الألمانية، والروسية والسوفييتية والغربية وماركسية العالم الثالث وباكوين و والنقاية الأناركية والديمقراطية الاجتماعية. استخدم مجاز الشجرة ليُبيّن تطور الماركسية وكذلك الطريقة التي تذبذب بها بعض الفروع بينما تنمو فروع أخرى.

ومع صعوده إلى قمة حقل علم الاجتماع، أولاً كرئيس لقسم علم الاجتماع في بيركلي ثم كرئيس للجمعية الأميركيّة لعلم الاجتماع ثم كرئيس للجمعية الدوليّة لعلم الاجتماع، حول بوراوي تركيزه نحو الجامعة النيوليبرالية وعلم الاجتماع بشكل أكثر تحديداً. ومرة أخرى، كان لتأثير جنوب أفريقيا عليه دور بارز في هذا التحول، إذ طُرِّب أفكاره حول علم الاجتماع العمومي. ففي زياراته المنتظمة إلى جنوب أفريقيا خلال تسعينيات القرن الماضي والعقد الأول من الألفية الجديدة، واجه بوراوي سوسيولوجيا جديدة نابضة بالحياة، متوزّلاً بعمق في المجتمع المحلي. إن المقارنة بين علم الاجتماع في الشمال العالمي ونظيره في الجنوب العالمي دفعته إلى تطوير عرض تخططي لأربعة أنواع من علم الاجتماع: العمومي والتقدي والمهني والسياسي. وبالنسبة له كان علم الاجتماع العمومي الأهم من بينها والأكثر مركزية في عملية التحول الاجتماعي. وضع بوراوي علم الاجتماع العمومي كحاجزٍ أساسٍ للتفاعل مع المجتمع المدني في مواجهة صعود النيوليبرالية (التي أشار إليها بموجة السوقنة الثالثة) وللاعتراف بأهمية الدولة القومية. كما دعا إلى تطوير علم اجتماع عالمي ينبع من

< مايكيل بوراوي:

بوصلة لعلم الاجتماع في عصرنا الراهن

بقلم جيفري بلايرز، الصندوق الوطني البلجيكي للبحث العلمي (FNRS) وجامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا، ورئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) للفترة ٢٠١٧-٢٠١٣.

شيكاغو، أين حصل على درجة الدكتوراه بعد إعداد رسالة دكتوراه تناولت العمال الصناعيين في شيكاغو، والتي نُشرت لاحقاً كأهم إسهام له بعنوان *Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism* (دار نشر جامعة شيكاغو، ١٩٧٩). كما أجرى مايكيل بحوثاً ميدانية موسعة مماثلة في المصانع في المجر وفي روسيا بعد الحقبة السوفيتية.

مع تزايد اعتماد الرأسمالية والاستغلال على سلعة المعرفة، قام مايكيل بتحليل أثر السياسات النيوليبرالية في التعليم العالي، وكيفية حصر إنتاج المعرفة في خدمة توسيع نفوذ السوق والدولة. وناصر علم الاجتماع عمومي يهدف إلى إنتاج معرفة مرتبطة بمواطني والحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

ترك مايكيل، أستاذ علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركلي، لمدة ٤٧ سنة، أثراً لا يُمحى في أجيال من الطلاب. و هو هو مسافراً جال أصقاع الدنيا. أسس مايكيل مجتمعًا كونيا من علماء الاجتماع الملتزمين بالبحث والتحليل الرامي إلى فهم العالم وتوفير أدوات للتغييره. نال سنة ٢٠٢٢ درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة جوهانسبرغ، وعلى جائزة W.E.B. Du Bois مسار التميز البحثي من الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع سنة ٢٠٢٤.

ستظل بصماته بارزة طويلاً الأمد من حيث الطرائق التي تعتمدتها في فهم علم الاجتماع وادراك دوره في المجتمع. حيث تجسد أعماله كيف يمكن للبحث التجاري الدقيق أن يُثري النقاشات النظرية ويفدحيها، والعكس صحيح. وذلك من خلال دمج المنظورات المحلية والوطنية والكونية. إذ قدم تحليلات شاملة تتجاوز عبر التخصصات و تتغنم معها وُثّقى النقاشات العامة والسياسية. وقد ناشد: «ربط البحث التجاري بالمنظور النظري». كان شغوفاً بالإثنографيا تماماً كما كان بالشأن النظري. وقد اهتم بتحليل الفاعلين بقدر اهتمامه بالهيكل الاجتماعي، وهو ما قام به من منظور ماركسي ساهم في إعادة النظر فيه ونشره. طوال مسيرته المهنية، بدءاً من مناجم النحاس في زامبيا، مروزاً بدوره الأساسي في إعادة ترسیخ مكانة دي بويرز W.E.B. Du Bois كأحد المؤسسين الرئيسيين لعلم الاجتماع الأمريكي وال العالمي، وصولاً إلى نضاله للدفاع عن التعليم العام المفتوح أمام الطلاب من خلفيات اجتماعية متعددة. كان معارضاً للحيف العرقي ودرس أبعاده وتحليلاته. وكان شغوفاً بالكتب بقدر ما كان شغوفاً بالناس، هؤلاء الناس الذين قابلهم في بحوثه الميدانية، و صمن دروسه، وفي الوسط الأكاديمي، وفي حياته-أربعة مجالات لم تتمكن يوماً منفصلة في حياة مايكيل و عمله. كان معطاءً في إنسانيته، وفي تدريسه، وفي عطائه العلمي إنساناً، وأستاذًا، وعالماً.



مايكيل بوراوي في ٢٨ آب/أغسطس ٢٠٢٤ في بورتو، البرتغال.
تصوير: جيفري بلايرز

غيب الموت مايكيل بُوراوي بشكل مفاجئ في الثالث من فبراير سنة ٢٠٢٥.

ISA نعى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) أحد أبرز رؤسائها تأثراً وإلهاماً، عالم اجتماع كونياً واستثنائياً وخلاقاً، ومدافعاً عن سosiولوجيا عمومية ملتقة بالناس والمجتمع المدني، ومعلماً مُلهماً. أشرف على تأهيل أجيال من علماء الاجتماع وإنساناً فريداً في إنسانيته.

ولد مايكيل بُوراوي سنة ١٩٤٧ وتلقى تدريبه الأولى كعام في الرياضيات، حتى جالت قراءاته صدفة كتاباً في علم الاجتماع بمكتبة كلية كريست في كامبريدج. أكمل درجة الماجستير في علم الاجتماع بجامعة زامبيا سنة ١٩٧٢، بالتزامن مع عمله في منجم للنحاس. ثم انتقل إلى جامعة

أهمية علم الاجتماع النقدي والعمومي في عصرنا. لقد ألهم آلاف علماء الاجتماع بتحليلاته وقناعاته، ولمسهم بلطفه وكرمه ونزااته.»

مايكيل، تركت وراءك مجتمعاً عالمياً من علماء الاجتماع في حالة حداد مفاجئ، يواجه فراغاً هائلاً. وبعد تكرييم أول عبر الإنترنت للاحتفاء بحياته وإرثه الذي عقد يوم السبت، ٨ فبراير ٢٠٢٥، تم تنظيم مزيد من الاحتفاءات خلال اجتماع اللجنة التنفيذية لـISA في جوهانسبرغ في مارس ، وكذلك خلال المنتدى الخامس للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) (١١-٦ يونيو) في الرباط، المغرب، إلى جانب المبادرات التي اتخذتها لجان البحث، ومجموعات العمل، والمجموعات الموضوعية التابعة لـISA.».

ستظل إسهامات مايكيل بُوراووي تشَكِّل فهم علماء الاجتماع للعام وطريقة تفاعلهم معه. ندعوكم للاستماع مرة أخرى إلى خطاب رئاسته في المؤتمر العالمي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) عام ٢٠١٤ في يوكوهاما، حيث شاركتها رؤيته العميقه حول علم الاجتماع، وال الحوار العالمي، والعدالة. سنتفتح النافذة إلى مقال هذا الخطاب وإلى إسهاماته الأخرى في المجلة.

لقد ترك مايكيل إرثاً علمياً بالغ الأهمية، ولم يقتصر تأثيره على ذلك فحسب، بل كرس حياته أيضاً لتأسيس فضاءات وأدوات تجمع علماء الاجتماع، وكانت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع إحدى أبرز هذه المبادرات. وفي ظل غيابه، يواجه المجتمع السوسيولوجي فراغاً كبيراً، غير أن إرثه يذكرنا بأنه من خلال العمل المشترك يمكن الحفاظ على ما أسسه وتطويره، مسترشدين بقناعتنا الراسخة بأن علم الاجتماع يظل ذا أهمية بالغة في مواجهة تحديات العصر الراهن. ■

توجه كل المراسلات إلى جوفري بلايرز على البريد الإلكتروني
Geoffrey.Pleyers@uclouvain.be

لم يكن مايكيل غير تلك البوصلة التي تسترشد بها عندما يتعلق الأمر بتبيانه لنا أهمية علم الاجتماع في عصرنا، وماذا تستحق السوسيولوجيا تكريس الكثير من الوقت والطاقة لممارستها وتعليمها حيث يجادل: «يساعد علم الاجتماع الطلاب على فهم كيفية كون المجتمع جماعياً، ودور العرق، والطبقة، والجنس. فهو يعد الدراسة العلمية مسألة المساواة والقمع المتربّع عليها. حيث يتناول علم الاجتماع بالدرس الإقصاءات نفسها التي ترُوّج لها القوى المحافظة. لكننا نحن ندرسها لا لتأييدها بل للاعتراض بها والإعلان عنها، ولتحقيق فهم أعمق لكيفية مواجهتها وإبطال آثارها». (مبابي، ١٠ مارس ٢٠٢٤).»

رحل عننا مايكيل في مرحلة نحن فيه بأمس الحاجة إلى قيادته، وطاقته التي لا تنضب، وعمله الدؤوب لمساعدتنا على فهم عالمنا المعقد ، وإلى مثاله الملهم كمعلم استثنائي، وإلى إيمانه بعلم الاجتماع العمومي ذي الصلة بالمجتمع، وإلى افتتاحه على حوار كوني حقيقي، و إلى تحليلاته السوسيولوجية العميقه والدقيقة القائمة على شهور من العمل الميداني الإثنوغرافي في المصانع، وإلى سعيه إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمعرفية، وإلى نضاله الذي لا يكلّ من أجل السلام والعدالة في فلسطين وفي أجزاء أخرى من العالم، وإلى طاقته الفريدة، والتزامه، وإلى حماسه الذي كان يلهب النفوس.

تركت قيادة مايكيل والتزامه وشغفه أثراً عميقاً في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) وفي الجماعة السوسيولوجية العالمية. سعى مايكيل بصفته مؤسساً لنشرية حوار كوني Global Dialogue ، الإلكترونية التابعة لـISA، والتي تحتفل هذه السنة بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيسيها، إلى: «تعزيز النقاش والحوار العالمي حول القضايا المعاصرة من خلال منظور سوسيولوجي». وبصفته نائب رئيس ISA للجمعيات الوطنية (٢٠٠٦-٢٠١٠) ثم رئاستها (٢٠١٠-٢٠١٤)، سافر حول العالم لنشر حماسه بشأن

< مايكيل بوراوي:

علم الاجتماع بوصفها مهنة

بقلم نازنين شمروكيني، جامعة سيمون فريزر، كندا

على أن نسأل: ملن ننتج المعرفة، ولأي غاية؟ كان نداوه لعلم اجتماع عام دعوة لإعادة تشكيل الأسس ذاتها لما يُعتبر معرفة. وكما كان يقول غالباً: علم الاجتماع العمومي ليس مَدّاً توعوياً؛ بل هو حوارٌ يُحدث تحولاً في جميع أطراfe.

امتد هذا الالتزام إلى كيفية انخراط مايكيل في الحركات الاجتماعية. لقد مارس ما نظر له. تنقل بسلامة بين قاعات الندوات وخطوط الاعتصام، وبين اجتماعات الجمعية الدولية لعلم الاجتماع وأرضية المصنع. من النشاط النقابي في جنوب أفريقيا وزامبيا، إلى الحركة المناهضة للفصل العنصري، واحتلال أوكلاند، وتنظيم طلاب جامعيين، والتضامن مع فلسطين، طمس عمل مايكيل الخط الفاصل بين الأكاديمي والنشاطي (النضالي).

كانت هذه الرؤية التحويلية لعلم الاجتماع لا تفصل عن التزاماته المنهجية. ويعتبر المنهج الحقلي الموسّع مركزاً في إرث مايكيل الفكري: مقاربة بحثية لم تسع للتعlim نحو الخارج بالمعنى الاستنتاجي المعتاد. بل توسيع بدلاً من ذلك انطلاقاً من التناقضات الملاحظة في الحياة اليومية نحو فهم البنى الاجتماعية الأوسع التي تشكلها. لم تكن الانعكاسية بالنسبة لمايكيل اعتقاداً، بل كانت نظرية للمعرفة.

وجد هذا الالتزام المنهجي تعبيراً آخر في أحد أبرز إسهاماته الباقي: الإثنוגرافيا العالمية، وهو مشروع تشاركي بمعية تسعه من طلابه الجامعيين. قدم الكتاب مفهوم العولمة المتتجذرة: وهو منهج مميّز لفهم السيرورات العالمية ليس من خلال نماذج مجردة أو تدفقات كبيرة (ماكر)، بل من خلال تتبع كيف انكسرت القوى العالمية، وذلك من خلال تجارب محلية محددة. عكست هاتان المقاريبان معاً - المنهج الحقلي الموسّع والعولمة المتتجذرة - قناعة مايكيل بأنّ النظرية ينبغي أن تُبنى من الأسفل، في حوار مع الواقع المعاشر، مع انتباه دائم للشروط البنوية التي تجعل المعرفة ممكنة.

< تدريس علم الاجتماع، ممارسة الحوار

بالنسبة لمايكيل، لم يكن التدريس تابعاً للبحث: بل كان أساساً لعلم اجتماع تحويلي. وقد رفض مراراً فكرة أنّ البيداغوجيا محابية. فكان التدريس، شأنه شأن البحث، يتموضع ضمن بنى نفوذ أوسع، خاصة داخل الجامعة النيوليبرالية. في عمله العمل في الجامعة الاستخراجية، شخص الجامعة باعتبارها موقعاً للاستغلال، حيث غالباً ما يكون الطلاب والمدرسون على حد سواء مغتربين عن سيورة التعليم. ومع ذلك، فقد كان يرى أيضاً في الصّف الدراسي إمكاناً للخيال الجذري؛ فضاءً لزرع البحث السوسيولوجي باعتباره نقداً ورعاية في الآن نفسه.

لم يكن مايكيل بوراوي عام اجتماع فحسب؛ كان بانياً لعلم الاجتماع التي شكلها، وال العلاقات التي رعاها، والتضامنات العالمية التي نسجها. لقد حول هذا التخصص إلى مجال انعكاسي موجه نحو الممارسة - مجال يسائل السلطة، ويضع الهوامش في مركز الاهتمام، ويصل بين النقد والخيال، بين النظرية والفعل.

وبهذه الروح، أتأمل إسهامات مايكيل وأسلط الضوء على تأثيره الدائم على هذا التخصص، ومناهجه، وبيداغوجياته، ومقصّلاته العالمية.

< علم الاجتماع المعيش: ممارسة مجسدة ومنهج انعكاسي

لم يكن علم اجتماع مايكيل مجرد توجّه نظري؛ بل كان ممارسة معاشرة، متتجذرة في الحركة والنضال والوعي التاريخي. لخص كتابه الأخير، علم الاجتماع العام: بين اليوتوبيا و منهاضة اليوتوبيا ، عقوداً من التفكير في الالتزام المزدوج لعلم الاجتماع: نقد الأوضاع القائمة بينما ينتهي الخيال بشأن بدائل مستقبلية. منح مايكيل معانٍ دقيقة لهذه الدوافع المتناقضة. لم تكن اليوتوبيا بالنسبة له مخططاً لمجتمع مثالي، بل تخيلاً حوارياً وجماعيًّا للبدائل، وقوّةً ضرورية تُبقي الفكر النقدي حيًّا. وحدّر قائلًا: «بدون اليوتوبيا، يصبح علم الاجتماع مرأة للإيأس». في المقابل، كانت «اليوتوبيا المضادة» بمثابة الشكوكية «التي زال عنها السحر» (المُحبطة) لكنّها ضرورية إذ تهدّب التفاؤل الساذج. بالنسبة لمايكيل، شهد علم الاجتماع توتراً بين هذين القطبين - بين الرغبة في التحوّل والاعتراف بما يعيق هذا التحوّل. وبهذا التوتّر - بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون - صور علم الاجتماع كدعوة.

لقد كان في صميم مشروع مايكيل نقد للتخصص في حد ذاته؛ وجهُه مستدام لإعادة تشكيل علم الاجتماع من الداخل. لقد تحدّى علم اجتماع الأوروبي المركزي، ومواده المرجعية المنغلقة، وإعادة إنتاجه للامتياز. وعلى الرغم من أنه كان يقف في مركز الواجهة الأكاديمية، فإنه عمل باستمرار على إزاحة نفسه من مركز الصدارة - مُقدّماً إلى الواجهة فكر دو بويرz (Bois)، والفكر النسووي، وإبستمولوجيات الجنوب العالمي. وقد اختار طوغاً أن يسكن الهوامش - داعماً ما كان يتّجه إلى الخارج وإلى الأسفل: نحو الجماعات، وأماكن العمل، وحياة أولئك الذين يخوضون تجربة الهشاشة.

في خطابه الرئاسي لجمعية علم الاجتماع الأمريكية سنة ٢٠٠٤، رسم بأسلوبه الشهير أربعة أنواع من علم الاجتماع: المهني، والسياسي، والقدي، والعمومي . لم تكن هذه أقساماً منفصلة، بل كانت رؤية لممارسة جدلية متكاملة. لم يكن علم الاجتماع العمومي بالنسبة له الجناح الذي للتخصص، بل كان ضميره. جعل علم الاجتماع خاضعاً للمساءلة، مصرّاً

”كان مايكل مقتنعاً بأن النظرية يجب أن تُبني من الأسفل، في حوار مع الحقائق المعاشرة“

سائر أنحاء العالم. لم يكن علم الاجتماع العالمي بالنسبة له دراسةً للعاملي؛ بقدر ما كان عولمةً لعلم الاجتماع كشخص بمعنى: إيصال الأصوات بعضها، وإعادة توزيع السلطة، وتمكين إنتاج معرفي يكون أكثر شمولاً. لم تكن رؤيته لعلم الاجتماع العالمي استخراجية. بل على العكس، يُؤكّد على التبادل. كما كتب في عولمة علم الاجتماع: «لا يمكننا عولمة علم الاجتماع ما لم نُعولم أيضًا شروط إنتاجه».

تحت قيادته، أطلقت حوار كوني كنثريّة متعددة اللغات، تنقل النقاشات السوسيولوجية عبر الحدود اللغوية والجيو-سياسية. مترجمة إلى 15 لغة، تجسد النشرة إصراره على علم اجتماع متعدد اللغات، متعدد الأصوات، متعدد المراكز. كان يعرف أن الترجمة ليست تقنية فحسب، بل سياسية. لقد دعم مبادرات توسيع النطاق الإقليمي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، ودمقرطة هياكلها، ودعم الباحثين في بيئات هشة سياسياً أو اقتصادياً.

أضفت زيارته لإيران عام ٢٠٠٨، والتي حظيت بشرف مرافقته خلالها، هذا الإيثوس(Ethos). وقد رفض أن يسمح لأنظمة التأشيرات، والعقوبات، أو القمع الحكومي - والحدود، سواء السياسية أو اللغوية أو التخصصية - بتحديد من يتفاعل معه. عندما كان علم الاجتماع الإيراني معزولاً بسبب العقوبات الدولية والقمع الداخلي، أصر مايكل قائلاً: «إذا لم يستطعوا المجيء إلينا، يجب أن نذهب إليهم». وذهب بالفعل، مصمماً على إبقاء علماء الاجتماع الإيرانيين جزءاً من المحادثة العالمية. حيث رأى الآخرون دولة منبورة، رأى هو مجتمعاً فكريًا. ظمه للرؤبة، والانصات، والتعلم - وموهبيته في جعل جميع من حوله يشعرون بأنهم مرئين، مسموعين، ومقدرين - ترك أثرًا لا يُمحى بين زملائه الإيرانيين.

في إيران، تعايش دور مايكل كمحاور متعاطف مع الانجداب المتواصل إلى الإثنوغرافي البارع بداخله. وبدلاً من حصر نفسه في جيوب طهران المريحة، لقد غامر بتجاوز التجربة المُعَقَّمة للعاصمة. راكباً الحالات داخل وبين المدن الإيرانية الصغيرة. تحذّانا قائلاً «وإلا فكيف ستتواصل مع الناس؟». ضحكتنا ونحن ذُكره: «مايكل، أنت لا تتحدث كلمة فارسية واحدة!» ومع ذلك، لم تكن اللغة حاجزاً. كان مايكل قدرة خارقة أن يسكن الأضفية، أن يمتّص أنسجة الحياة المحلية ويعكسها. لم يكن أبداً مراقباً عن بعد؛ كان مشاركاً في القصص التي تكشف من حوله. سواءً كان يتحدث مع سائق حافلة، أو يساوم بائعاً، أو يتبادل الأفكار مع أساتذة جامعيين، اخترق كلّ جدار بفضلole الحقيقى وحشـه الفكـهـي المـمـيزـ، مشـكـلاً روابـط تتجاوز الكلمات. علمنا أنّ مواجهة الإثنوغرافيا لا تتعلق باتفاق اللغة، بل بالكرامة والفضول الإنساني.

عندما سُئل عن الرسالة التي يوجّهها للرئيسين أحمدي نجاد وبوش، رد مايكل: «اجعلوا دراسة علم الاجتماع إلزامية على الرؤساء ١٠١». في المناخ الراهن، حيث يعمد القادة السياسيون على نحو متزايد إلى تقليل قوّيل العلوم الاجتماعية ونزع شرعيتها، لا تبدو ملاحظته الساخرة هذه مزحة بقدر ما هي نقداً استشرافيًّا للقطيعة بين السلطة والمعرفة النقدية.

عقب زيارة مايكل، أُسست الجمعية الإيرانية لعلم الاجتماع قسماً مختصاً لعلم الاجتماع العمومي ، وهو الآن أحد أكثر فروعها حيوية

كان غالباً ما يقول: «جمهورنا الأول هم طلابنا». في نظره، كان كلّ طالب بمثابة قصّة تستحق أن تُسمع، وتحدّ جدير بالاكتشاف. لقد خلق مايكل فضاءً يكون التعليم فيه جماعياً، حيث تُناقش الأفكار بحدّة ولكن بسخاءً، وحيث لا تُهدّس المعرفة أبداً بل تُشارك. أدرك، كطالبة له، أنّ أعظم هدايا مايكل كانت بناء مجتمع يمكننا فيه أن نعترف بصيرته وإمكاناته بغضّنا البعض وننمّيها. لم يتعامل مع نضالاتنا الشخصية كمشكلات، وإنما نقاط دخول (مدخل) إلى التحليل النظري.

لقد شكّل أخلاقيات التضامن في الصّف الدراسي، كان يذكر طلابه بانتظام في منشوراته، ويثمن عمل مساعدي التدريس، ويوجّههم كمفكّرين لا بوصفهم مساعدين.

ممّا لا شكّ فيه، كان أحد أكثر المدرسين المحبوبين في جيله. لكنّ الأهم من ذلك، أنه أعاد تعريف ما يمكن أن يكون عليه التدريس وعلم بعض دروسه، الأكثر رسوحاً في الذاكرة، في الشارع: في الجلسات التعليمية في ساحة سبرول بجامعة كاليفورنيا، بيركلي، وعلى خطوط الاعتصام. بالنسبة له، كانت البيداغوجيا والتدريس لا تنفصلان عن الالتزام السياسي والنضال الجماعي.

بالنسبة للعديد منه، تلامذته، لم يُنشئ مايكل بوراووي مدرسة فكرية. بل أنشأ جماعة ممارسة؛ لا تُحدّد بالتقليد أو التلمذة، بل بالخلاف. لم يكن يريد أن يُتبع، بل أراد أن يُجادل. نحن لا نتبع جميعاً براديغماً نظرياً محدداً - ولا حتى الماركسيّة، التي شكّلت عمله بعمق. ما يُؤثّرنا ليس التطبّق المنهجي أو التوافق الأيديولوجي، بل التوجّه المشترك نحو العالم: الإيمان بالضرورة الملحة للتفكير السوسيولوجي، وقدرته على إلقاء الضوء على ظروف حياتنا وإعادة تشكيلها. كانت سوسيولوجيتها متقدّرة بعمق، ومتّجاوبة مع التحدّيات السياسية والأخلاقية لعصره، ومسؤوله عنها. وكذلك هي سوسيولوجيتها.

لقد ارتبط التزام مايكل بالبيداغوجيا، بوصفها عملاً ارتباطاً مباشراً بالتزامه بالسوسيولوجيا العالمية.

< علم الاجتماع العالمي: من التضامن إلى البنية >

بالنسبة لمايكل، لم تكن الجمعية الدولية لعلم الاجتماع مجرد منصة إدارية بل مختبراً لتحقيق رؤيته لعلم الاجتماع العالمي. رفض فكرة أن مجرد توسيع المشاركة العالمية - من خلال المؤتمرات أو الشراكات أو الاقتباسات - كاف. وبدلاً من ذلك، دعا إلى تحوّل أعمق في البنى الاستئ怍ية للشخص. مستنداً لمفهوم تشاكراباري «أقلمة أوروبا»، جادل مايكل بأنّ علم الاجتماع ينبغي أن يواجه تحيزاته الشمالية ويعيد توزيع السلطة الفكرية. لم تكن الدولة بالنسبة له تتعلق بالاندماج في مفهود مهيمن، بل بتبنّيه علم اجتماع حواري متعدد المراكز متجلّر في الاعتراف المتبادل وفي حيّوية التقاليد الوطنية.

دعا مايكل إلى تحوّل من الدمج الرأسي (العمودي) للمعرفة، حيث تُنتج النظرية في الشمال العالمي وتُجتمع البيانات في الجنوب العالمي، إلى بنية تبادل أفقية، حيث تنبثق فيها الإسهامات النظرية والمبيريّة من

< المُضي بالمشروع قدماً

في المشهد الراهن الذي تتعمق فيه أوجه اللامساواة، وصعود السلطة، والانهيار المناخي، والنزوح العالمي، فإن إصرار مايكل على علم اجتماع عام، نقدي، ومفعم بالأمل أصبح أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. علمنا أن علم الاجتماع ينبغي أن يستجيب لظروف عصره، حيث أنه يزدهر في لحظات الأزمات؛ ليس رغمها، بل بفضلها.

إن المُضي بارثه قدماً يعني الحفاظ على استدامة القيم التي جسّدها:

- السؤال النقدي المتجرّد في الحوار والتواضع.
- التدريس كمجال للتحول المتبادل.
- بحث يشرك جماهير عابرة للانقسامات.
- رفض فصل التحليل عن المسؤولية.

وربما هذا هو الإرث الذي يتركه لنا في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع: ليس مجرد مجموعة من المفاهيم أو التصنيفات، بل طريقة لممارسة علم الاجتماع تكون في آن واحد نقدية، حوارية، وملتزمة بعمق بالعالم الذي تسعى إلى فهمه.

توجه كل المراسلات إلى نازنين شاهرونکنی على:

nazanin_shahrokn@gmail.com

ونشاطاً. وقد حظيت بشرف ترجمة دعوته لعلم الاجتماع العمومي والمساعدة في تقديم المفهوم للمجتمع الأكاديمي الناطق بالفارسية. لاقى عمله صدى عميقاً: نُظمت منذ ذلك الحين العديد من الكتب وحلقات نقاش حول علم الاجتماع العمومي ، وترجمت نصوص رئيسية، بما في ذلك مقالات مايكل و مقابلاته؛ تبنّى علماء الاجتماع الإيرانيون رؤيته للبحث العلمي النقدي والملتزם؛ وبعد رحيله، أقامت الجمعية حدثاً تأييضاً خاصاً تكريماً له. أبلغت الصحف الوطنية عن إرثه، مؤكدة الأثر الدائم لزيارته وأفكاره على المشهد السوسيولوجي الإيراني.

بالنسبة لمايكل، كان علم الاجتماع العالمي ممارسة - للإتصات عبر الحدود، وللترجمة عبر الاختلاف، وللإصرار على أن المعرفة لا تكون عالمية حقاً إلا إذا تم تشاركتها، والنضال من أجلها، وتحدّثها بألسنة عديدة (التعبير عنها بعدة لغات).

مايكيل بوراوي:

بين الماركسية المرنة

وعلم الاجتماع العمومي

بقلم روبي راغا، جامعة ساو باولو، البرازيل

ترتبط قيم مثل التضامن والعدالة والمتساواة والحرية وفقاً لمايكيل، دون انفصال مع الممارسة العلمية. مجادلاً أن على علماء الاجتماع احتضان إمكاناتها الاستدلالية بصورة انعكاسية بدل من إنكارها. وقد انبثقت أنسسه الإمبريقية والإبستمولوجية من موقع غير مأمولفة بالنسبة للأكاديمي مثال منجم نحاس في زامبيا ومصنع محركات في شيكاغو ومصنع للصلب في المجر ومصنع أثاث في روسيا. ومن خلال عمله في أربع دول بوصفه مشغلاً لآلات وعامل أفران ومسؤول عن موارد البشرية، صقل مايكيل عدسته التحليلية انطلاقاً من أرضية المصانع، متناولاً أربع تحولات تاريخية كبرى تتمثل في إنهاء الاستعمار في أفريقيا وترسخ الفوردية وانهيار الاشتراكية البيروقراطية وصعود النيوليبرالية. وقد جمعت توليفاته النظرية بين ماركسية غير تقليدية، استلهمنت غرامشي وروزا لوکسمبورغ وتروتسكي وفرانز فانون، ولاحقاً دبليو. إي. في. دو بويرز Du Bois، وبين التقليد السوسيولوجي الراديكيالي لدى سي. رايت ميلز وألفين غولدزور وكارل بولاني.

أطلق مايكيل، في أوائل تسعينيات القرن العشرين، إلى جانب صديقه المقرب إريك أولين رايت، مشروعًا طموحاً لإعادة بناء «الماركسية السوسيولوجية»، وبصفتها نظرية ل إعادة الانتاج المتناقض للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية. وقد سعى الاثنان إلى استعادة الامكانيات التحررية للماركسية، التي كانت قد تراجعت بعد سقوط إشتراكية الدولة. وقد وصف غوران ثيربورن هذا المسعى بأنه «أكثر مشاريع الماركسية الصامدة طموحاً» في مطلع القرن الحادي والعشرين. تطور المشروع في اتجاهين متكملين: مشروع رايت حول «اليوتوبيا الواقعية» ومشروع مايكيل حول «علم الاجتماع العمومي». وشجع كلاهما الجماعة السوسيولوجية على الانخراط النقدي مع جمahir متعددة ومتغيرة، داخل الأوساط الأكاديمية وخارجها، وبصف ذلك جزءاً من حركة أوسع من أجل التحول الاجتماعي. وقد تولى كل منهما رئاسة الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASA)، كما شغل مايكيل لاحقاً منصب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، عقب حملة نشطة شملت ٤٤ دولة للترويج لرؤيته لعلم الاجتماع العمومي.

< علم الاجتماع العمومي

تصور مايكيل علم الاجتماع العمومي إنعكاسي ونقدياً، موجهاً إلى الجماهير خارج الأوساط الأكاديمية، وملتزمًا بقيم تحريرية تشمل العدالة والحرية والمتساواة والديمقراطية والتضامن. كان مايكيل كثيراً ما يزدّر قائلاً: إذا كان علم السياسة يدرس الدولة وكان علم الاقتصاد يدرس السوق فإن علم الاجتماع يدرس المجتمع المدني وتقاضاته وتحدياته التاريخية. وليس من المستغرب أن يلقى علم الاجتماع العمومي صدى واسعاً لدى الحركات الاجتماعية التقديمية التي تقوم سلعة العمل والطبيعة والنقود والخبرة في مختلف أنحاء العالم ولا سيما بعد الأزمة المالية العالمية لسنة ٢٠٠٨. هذا كما شدد، في الوقت نفسه، على ضرورة دراسة الحركات الرجعية أيضاً.

<<

ت عرض مايكيل بوراوي، في ليلة ٣ فبراير/شباط ٢٠٢٥، لدهسٍ مميتٍ من مركبة بالقرب من منزله في أوكلاند، كاليفورنيا. وقد فر السائق من مكان الحادث، لكن ألقى عليه القبض لاحقاً. شُكل موت مايكيل خسارة لأهم عالم اجتماع ماركسي معاصر، إذ أسهمت مسيرته الأكاديمية في إعادة موضعه الماركسي داخل الجامعة بعد انهيار اشتراكية الدولة البيروقراطية، مع المحافظ في الآن ذاته على رابط عضوي بين النظرية ونضالات التحرر الإنساني.

تقاعد مايكيل من قسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركلي، سنة ٢٠٢٣، بعد ٧٤ عاماً من الخدمة المتفانية للطلاب والزملاء وكل من أشرف عليهم أكاديمياً. وبرز، منذ سبعينيات القرن العشرين، مع نشر عمله الكلاسيكي *«صناعة القبول: التغيرات في عملية العمل في ظل الرأسمالية الاحتكارية»*، الذي أحدث ثورة في دراسات العمل، وبصفة أحد أعمدة الماركسية النقدية المتجددة في الصراعية الإمبريقية والحوار المفتوح.

كان مايكيل أستاداً أسطورياً طوال حياته، قادراً على أسر قاعات المحاضرات المكتظة بكاريزما وروح دعابة، مع إيلاء اهتمام شخصي لكل طالب على حدة. كان يعرض في صفه على حفظ عدد من الأسماء في كل حصة، يدونها بهدوء على السبورة، ليسطيع تذكر معظم الطلبة، إن م يكن جميعهم، بحلول نهاية الفصل الدراسي. وتشهد روايات لا تحصى على عنائه وانخراطه ودعمه الأخوي، بصفته مشرفاً أكاديمياً، على أبحاث الطلبة. لقد أشرف، على مدى أكثر من أربعة عقود، على ٨٤ أطروحة، وغالباً ما كان يدمج مشاريع طلبه في مقاراتات عالمية طموحة أضفت إلى أعمال جماعية مؤثرة. وكانت حلقاته الدراسية لطلبة الدراسات العليا مطلوبة بقدر إقبال الطلبة على مقرراته الجامعية. كما عكست مداومته والتزامه إحساساً عميقاً بالتضامن أهلهم أبحاثه وشكل منهجه.

< رحلة مبتكرة وملهمة

يُعد مايكيل المرجع الأبرز، في تاريخ علم الاجتماع، لما يعرف بـ «منهج الحال الممتدة»، وهو منهج مستمدٌ من مدرسة مانشستر في الأنثروبولوجيا، وقد قام بتعقيده نظرياً ضمن ماركسيته السوسيولوجية. إذ هي مقاربة صارمة للبحث الإمبريقي، أكثر من كونها أداة تحليلية، تتميز بقدرها الفريدة على وصل الخبرات الميكروية الجزئية بالعمليات الماكروية الكلية لإعادة الإنتاج الاجتماعي والتحول. يطبق هذا المنهج العلم الانعكاسي على الإثنوغرافيا: فيستخلص العام من الخاص وينتقل من الجزئي إلى الكلي ويربط الحاضر بالماضي استشرافاً للمستقبل. حيث بين مايكيل، من خالله، كيف تعكس تجارب العمال في موقع الإنتاج البني الاجتماعي الأوسع. وقد شدد، وبصفة مشاركاً-ملاحظاً، على الأساس الأخلاقي لعلم الاجتماع الماركسي: فالتأريخ الإنساني مبني إجتماعياً ويمكن بالتالي إعادة بنائه، مثاليًا، بطرق أكثر عدلاً.

”التاريخ البشري هو بناء اجتماعي، وبالتالي يمكن إعادة بنائه اجتماعياً - بطرق أكثر عدلاً في الحالة المثلالية“

استضافه في عدة مناسبات، كان آخرها سنة ٢٠٢٣، وحافظ معه على تعاون متكرر على جبهات متعددة. كما ترك تأثيره بصمة واضحة في مسارى الفكرى الشخصى، إذ وجه عملية إعادة بناء ماركسيّة سوسيولوجية نقدية مترکزة على البحث الإمبريقي، وساهم في سقل «منهج الحالة الملمدة» لتحليل تحولات الطبقة العاملة البرازيلية.

لقد أسمهم الحوار مع مايكيل بشكل كبير في تعزيز أفق علم الاجتماع العمومي داخل مشروع مركز دراسات حقوق المواطنة (Cenedic)، وهو المشروع الذي كان شيكو دي أوليفيرا Chico de Oliveira أبرز رموزه. وليس من قبل المصادفة أن يكون شيكو من كتب مقدمة الكتاب الذي شاركَ مايكيل في تحريره، «من أجل علم اجتماع عمومي» (*Por uma sociologia pública*)، إذ يجسد ذلك تقاطع تقاليد نقدية مختلفة، التأمل الماركسي في أمريكا اللاتينية وعلم الاجتماع العمومي الدولي، في أفق فكري وسياسي مشترك.

شارك مايكيل، خلال زيارته الأخيرة إلى ساو باولو عام ٢٠٢٣، في حفل إطلاق كتاب «قلق البروليتاري الهشة: العمل والتضامن في الرأسمالية العرقية» (*A angústia do cلق البروليتاري الهشة: العمل والتضامن في الرأسمالية العرقية*) (*precariado: trabalho e solidariedade no capitalismo racial*)، والذي كرسه لتحليل تحولات الطبقة العاملة في الولايات المتحدة. وينخرط هذا الكتاب بصورة مباشرة في حوار مع دبليو. اي. بي. دو بويز، عالم الاجتماع الأمريكي الأسود الذي كان قد أصبح «هوس» مايكيل الفكرى الأحدث، والذي كان يعذ عنه كتاباً عندما وافته المنية. لقد جدد انخراط مايكيل في فكر دو بويز إحدى الأجنadas المركزية لعلم الاجتماع العمومي الذي دعا إليه ألا و هو إعادة بناء المنهج الاجتماعي النقدي من خلال دمج التقاليد الفكرية الهامشية تاريخياً

لقد ازدهر هذا الإرث في البرازيل. فقد أسمهت مبادرات حديثة، مثل تلك التي أطلقتها فريق AfroCebrap، في نشر أعمال دبليو. اي. بي. دو بويز باللغة البرتغالية، وإدماج فكره في العلوم الاجتماعية البرازيلية، وتوسيع الأطر التفسيرية من خلال إبراز المسألة العرقية والعلاقة التاريخية العالمية بين الرأسمالية والعنصرية. إن التقاطع بين أطروحات مايكيل ودو بويز يعزز علم اجتماع عمومي ذا ترابط عالمي، ويقدم للبرازيل، في نفس الوقت، إطاراً تفسيرياً يتيح تعميق نقد الرأسمالية العرقية عبر وصلها بالنظرية الدولية وبالتجربة التاريخية الوطنية.

< اللقاء الأخير

كان آخر لقاء شخصي لي بمايكيل في جوهانسبرغ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٤، وأوصلته حينها إلى مدخل شقة صديقينا العزيزين ميشيل ويليمز وفيش ساتغار، بعد أحد تلك العشاءات التي لا تنسى، والتي كان يصر دائماً على دفع حسابها. وكانت أعيش في جنوب أفريقيا لأن مايكيل نبهني، قبل أكثر من عقد من الزمن، إلى الأهمية الفريدة لعلم الاجتماع الذي ينتجه ذلك البلد وهو ما سأظل ممتنا له بعمق.

ودعنا بعضنا، في ذلك اليوم، ونحن نناقش تفاصيل مشاركته المرتقبة في المؤتمر البرازيلي لعلم الاجتماع في يوليو/تموز ٢٠٢٥. كان ينوي أن يتحدث عن المجزرة المستمرة بحق الشعب الفلسطيني، وأعرب عن قلقه إزاء المناخ السياسي السائد في الجامعات أزاء تناول مثل هذا الموضوع بالغ الحساسية. وقد طمأنته بأنه سيستقبل من قبل جمهور متعطش للاستماع إليه، وللتعرف عليه على حقيقته، باعتباره أعظم عالم اجتماع ماركسي في جيله. ■

بما في ذلك القومية السلطوية التي انتشرت خلال عقد ٢٠١٠ وتغذى اليوم اليمنى المتطرف العالمي. وكان يعتقد أن علم الاجتماع العمومي ضروري لكشف البني والعمليات الكامنة وراء هذه «الأعراض المرضية» (بتعبير غراماشي) لعملية الاستبداد المعاصر ولتقديم دعم استراتيجي لتجديد الديمقراطية.

عاد مايكيل إلى بيركلي، بعد انتهاء ولايته رئيساً للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) سنة ٢٠١٤، وتولى رئاسة رابطة أعضاء هيئة التدريس، مدافعاً عن المدرسين المتعاقدين الذين يعملون في ظروف هشة داخل الجامعات العمومية في ولاية كاليفورنيا. كما أكد دعمه الفاعل لإضراب المدرسين المساعدين عام ٢٠٢٣ والتزامه الدائم بقضية العدالة الاجتماعية. لقد كان نشاطه السياسي واسعاً ومتسقاً على امتداد حياته: دعم استقلال زامبيا وعارض نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وناصر النضالات النسوية ضد التحرش الجنسي في الجامعات وشارك في التعبئة المناهضة للغرب في أوكرانيا وندد بالإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين في غزة، وهو موضوع مقاله الذي نُشر بعد وفاته.^٦ لم يجمع أحد، في تاريخ علم الاجتماع العالمي، بين العمل الميداني في هذا العدد الكبير من البلدان وبين انخراطه سياسياً عميقاً في القضايا الإنسانية الأساسية كما فعل مايكيل. يجب أن تخلد ذكراه بوصفه ماركسي لا يساوم ومعلماً للتضامن ومثقفاً عمومياً حوت علم الاجتماع إلى أداة للتحرر.

< بوراوي في البرازيل

أقام مايكيل صلاته المباشرة الأولى مع الجماعة السوسيولوجية البرازيلية عام ٢٠٠٧، من خلال مشاركته في مؤتمر علم الاجتماع لأمريكا اللاتينية (ALAS) الذي عقد في ريسيفي. وفي تلك المناسبة، ألقى أيضاً محاضرات في جامعات كبرى، من بينها جامعات ساو باولو وكاميغيناس وبورتو أليغري وريو دي جانيرو. وكان يشغل في ذلك الوقت، منصب نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، وكان منخرطاً بنشاط في الترويج لـ «علم الاجتماع العمومي»، وهو المقترن الذي كان قد صاغه قبل بضع سنوات والذي أثير حوله نقاش واسع منذ انتخابه رئيساً للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASA).

منذ ذلك اللقاء الأول، أصبح مايكيل يزور البرازيل بانتظام، وغالباً ما كان يدعى للمشاركة في الندوات والمؤتمرات والفعاليات الأكademica. وقد غدا حضوره في الجمعية البرازيلية لعلم الاجتماع (SBS) والرابطة الوطنية لبرامج الدراسات العليا والبحث في العلوم الاجتماعية (ANPOCS) علامه مرجعية، ما جعله واحداً من أكثر علماء الاجتماع الدوليين حضوراً واعتزافاً في البلاد. طور مايكيل، من خلال هذه المشاركات، علاقة فريدة مع علم الاجتماع البرازيلي، اتسمت بتلقي أفكاره بانفتاح وبحوار مباشر مع الباحثين والمؤسسات الأكademica.

لم يكن الاعتراف رمزاً فقط. إذ تضع المسوحات البليومترية المعتمدة على بيانات منصة SciELO خلال فترة ٢٠٢٤-٢٠١٠ مايكيل ضمن قائمة أكثر خمسة عشر عاماً اجتماع دوليين أستشهد بهم في الدوريات البرازيلية، وهو ما يبرز في آن واحد أهمية أعماله وقدرة علم الاجتماع العمومي الذي دعا إليه على التفاعل مع التقاليد النقدية البرازيلية، مسهماً في ترسيخ علم اجتماع ملتزم ومتصل عالمياً.

كان لحضور مايكيل في البرازيل أثر مضموني حاسم في المشاريع البحثية التي طورها مركز دراسات حقوق المواطنة (Cenedic) في جامعة ساو باولو، والذي

< مايكل بوراوفي وحفلة السوسيولوجيا العمومية الكونية: حوارات مع روسيا >

بقلم بافيل كروتوف، مؤسسة بيتريم أ. سوروكين، بوسطن، الولايات المتحدة و تاتيانا ليتكينا، مركز كومي العلمي، روسيا وسفيلانا ياروشينكو، جمعية سوسيولوجيا سانت بطرسبرغ، روسيا

مايكل بوراوفي في الميدان، في كومي، عام ٢٠٠٢.
تصوير: تاتيانا ليتكينا.



نرگز في هذا الإشادة الموجزة، على جانب واحد بارز من مسيرته الاستثنائية والمتمثّلة في علاقته بروسيا وجهودنا المشتركة لفهم ديناميات الرأسمالية، والخبرات المعيشية للشعب الروسي، وإمكانيات السوسيولوجيا العامة في تحقيق التغيير الاجتماعي.

< بدايات الحركة العمالية في ظلّ تحدّي الاشتراكية الدولة >

سافر مايكل بوراوفي سنة ١٩٨٦، مع بداية البيروسترويكا، برفقة إريك أولين رait إلى موسكو للقاء سوسيولوجيين سوفيت من معهد علم

مايكل بوراوفي: مفكّر اجتماعي رائد وسوسيولوجي سوسيولوجي عموميّة. توفي المفكّر الاجتماعي البارز مايكل بوراوفي عن عمر يناهز ٧٧ عاماً، بعد حياة حافلة بالمساهمات في علم الاجتماع، حيث كرس جهوده لكشف الحدود الاجتماعية الخفية، ومعالجة أشكال عدم المساواة المختلفة، وبناء جسور بين المجتمعات، بما في ذلك في تعاريف الحقل السوسيولوجي نفسه. كان بوراوفي، ولا يزال، منارة متعددة الأوجه في علم الاجتماع: صديقاً، ومرشدًا، وزميلاً للعديد من الباحثين. وسيظل إرثه الفكري حاضراً، خاصة لأولئك الذين يدرسون مسارات الرأسمالية النيوليبرالية وهشاشة المجتمع المدني أمام ضغوط السوق والدولة.

مايكل بوراوي في مناظرة عامة في الجامعة الأوروبية في
سانت بطرسبرغ، عام ٢٠١٥



والاختلال، بدأً من التشكّل التلقائي لنظام بديل. وفي هذا السياق، غدا المصنع فضاءً للتجزء الفوضوي، الأمر الذي هيأ الشروط الموضوعية لصعود الرأسمالية التجارية وبروز نواة طبقة أوليغارشية آخذة في التكوّن.

وفي الفترة الممتدة بين سنّي ١٩٩٢ و١٩٩٤، اتسع نطاق البحث ليشمل حوض الفحم في مدينة فوركتونا، حيث كانت إضرابات عمال المناجم تتقاطع، بل وتتصادم، مع سياسات الإصلاح الاقتصادي. وقد بين تحليل سوسيولوجي شامل للمناجم الاثني عشر، أُنجز بالتعاون مع مشروع تابع للبنك الدولي، الآثار البنيوية السلبية لسياسات «العلاج بالصدمة». ومع تنامي حالة الإحباط إزاء مسار تحرير السوق، أخذ العمال بالتزاحم تدريجياً عن أشكال المقاومة الجماعية، في ما يمكن توصيفه مجازاً بـ«الانحناء أمام ملوك التاريخ».

< ضغوطات السوق، التحولات الجندرية، والانحطاط الاقتصادي

مع انهيار المؤسسات الصناعية، انتشرت تآخرات الرواتب، وأحياناً تم دفع التعويضات على شكل غذاء بأسعار مبالغ فيها. تحولت الأنشطة الاقتصادية إلى الحيز المنزلي.

قام بوراوي بدأً من ١٩٩٤ من رفقة وليتكينا Lytkina بدراسة استراتيجياتبقاء العمال من خلال مقابلات مع أسر معيشية، مطوريين نظرية حول الانفصال ما بعد الاشتراكى، مستلهمين من «التحول الكبيركارل بولاني». حيث أكد بوراوي على رؤية بولاني: «لا يمكن للأسوق توليد مجتمع دون تدمير أو مقاومة».

في روسيا ما بعد السوفيتية، اتخذت هذه المقاومة أشكالاً متمثّلةً في تزايد العمل المنزلي، وإحياء الاقتصادات الموازية، وسلعنة العمل والمطال والطبيعة والرعاية، وهي جمِيعاً ممارسات كانت متقدّرة في علاقات اجتماعية ذات دلالات ثقافية عميقية. وقد كشفت المقابلات عن انقسام جندري حاد. فمن جهة، تبؤّت النساء فعلياً المعيلات مكانة المعيلات الرئيسيات للأسر، معوضات عن فقدان الرجال لمكاتبهم الاجتماعية ووظائفهن. ومن جهة أخرى، أددت شبكات الدعم القائمة على القرابة التي أنشأتها النساء دوراً بدليلاً عن الدولة المتبدعة. غير أنَّ الروح الريادية لنساء الطبقة العاملة،

الاجتماع التابع لأكاديمية العلوم، للانخراط في دراسة مقارنة للوعي الطبقي في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

برزت خلال عشرة أيام من «المناقشات المحيطة ولكنها مضيئة»، اختلافات أيديولوجية وتفسيرية عميقة، خاصة حول المفاهيم الماركسية وتردد العلماء السوفيت في تحليل تناقضات «الاشتراكية الحقيقة» بشكل علني.

بعد ذلك، اتّخذ كل باحث مساراً مختلفاً: لم يعد رايت إلى روسيا، بينما سعى بوراوي إلى إجراء دراسة إثنغرافية شاملة للصناعة السوفيتية، مشابهة لـ«الجحاثة» التي كان قد أجريها في المجر. لم ينظر إلى الاشتراكية السوفيتية كونها انحرافاً مأساوياً عن المثل الاشتراكية، بل كونها شكّل من أشكال تمجيدها -الاشتراكية الحكومية و التي « - تستحق الفحص النظري والتجريبي. طرح أسئلة حول تنظيم العمل، ووعي الطبقة العاملة، والمفارقة التي تبرز أن حركات العمال كانت أكثر قوة ونشاطاً في الأنظمة الاشتراكية الحكومية مقارنة بالمجتمعات الرأسمالية المترددة.

< التحول إلى رأسمالية السوق

في عام ١٩٩١، بدأ بوراوي الملاحظة بالمشاركة في صنع للآثار في كومي، وذلك لاختبار فرضية طرحتها في كتابه صناعة الموافقة (١٩٧٩) وتطورها في «الماضي المشع» (١٩٩٢)، مع يانوش لوكتاش. ميز بوراوي بين السيطرة على عملية العمل (علاقات الإنتاج) والسيطرة داخل عملية العمل (علاقات الإنتاج الداخلية). في ظل الظروف السوفيتية، تقع العمال بالسيطرة الثانية بسبب النقص المزمن، حيث تنازل المديرون عن السيطرة التشغيلية لضمان استمرارية الإنتاج. كانت هذه الاستقلالية المفارقة paradoxical autonomy مثلاً على مرونة النظام الإداري-الأمر ونجاعته.

انطلقت الدراسة في بدايتها من هدف يتمثل في إجراء مقارنة بين أمّاط العمل في كلٍ من الاتحاد السوفيتي وهنغاريا في سياق الاشتراكية المتأخرة، غير أنَّ المعطيات المستخلصة من البحث الميداني كشفت عن مسار تفكّك متسرّع لاقتصاد التخطيط المركزي، الذي أخذ يُستبدل على نحو متزايد بأنمط تبادل قائمة على المقايدة، بما أفضى إلى إنتاج حالة من التشرذم

محاضرات في سانت بطرسبرغ حول موضوع علم الاجتماع العمومي وعاد سنة ٢٠١٥ لتقديم محاضرة بعنوان «علم الاجتماع بوصفها مهنة» [Sociology as a Vocation](#) ومشاركة في حلقة نقاشية حول مستقبل علم الاجتماع الروسي [the future of Russian sociology](#).

وقد شدّد بوراوروبي على أهمة علم الاجتماع في توحيد المجتمع بدلاً من تقسيمه، باعتباره مجالاً علمياً وسياسياً-أخلاقياً في آن واحد. ودافع عن إعادة المعرفة السوسيولوجية المثيرة إلى الجماهير المهمشة. وعلى الرغم من وعيه بالقيود الهيكلية التي تواجه علم الاجتماع العمومي في روسيا، فإن تفاؤله وخبرته في تجاوز العقبات دعماً في اعتقاده بأن علم الاجتماع المهني والعمومي يمكن أن يتعاشراً ويزدهراً معاً.

وفي خضم الضغوط الأكاديمية المتزايدة سنة ٢٠١٥ حثّ بوراوي علماء الاجتماع على مقاومة المطابقة غير النقدية لما يُليق بالآداء الأكاديمي وتأريخ نضالهم الخاصة والاعتراف بأن «الشخصي الاجتماعي». إضافة إلى تطوير نظريات مستندة تجريبياً وملائمة محلياً - سواء كانت مستعارة أو مشتقة من السياق الروسي. كما دفع عن التضامن بين علماء الاجتماع والتفاعل النشط مع مجتمع المدني منظم ذاتياً، مشدداً على القدرة التحولية للبحث الجماعي وأهميته في المجتمع.

< مايكيل بوراوروبي تجسيد حي للسوسيولوجيا العمومية >

لقد دمج مايكيل بوراوروبي بمهارة شغفه بعلم الاجتماع مع وعيه العميق بالمساواة التي تولدها الرأسمالية العالمية. وأظهرت أيجاده عبر البلدان - بما في ذلك روسيا - أن امكانية تشكيل علماء الاجتماع طبقة فكرية «خطيرة» محتملة: و ذلك في تحالف مع المجتمع المدني، و انتباه لأليات اللا مساواة، مع قدرتهم على تحويل المعاناة الفردية إلى فعل جماعي.

و فوق كل شيء، نتذكر يقطنه وافتتاحه وكرمه وحكمته. فقد كان يستمع باحترام حقيقي، بانيا جسراً بين الانقسامات، ومفكراً للتراكيز، ومشجعاً للمساواة في التفاعلات اليومية. وقد تشكلت رؤاه حول البنية الفاعلية من خلال انخراط نابع من التفاعل التعاطفي العميق مع حياة العمال.

لم يكن مايكيل بوراوروبي في نظرنا مجرد منظر لعلم الاجتماع العمومي فقط، بل كان تجسيداً حياً له.

توجه كل المراسلات إلى
pasha.boston1307@gmail.com
 بافيل كروتوف،
tlytkina@yandex.ru
 واتيانا ليتكينا،
svetayaroshenko@gmail.com
 سفيتلانا ياروشينكو،

سواء داخل المجال المنزلي أو خارجه، بما في ذلك المنشرات في أنشطة تجارية أو خدمية صغيرة، لم تُمْكِنْهُ ولا أُسْرَهُ من الإفلات من حلقة الحرمان المستمر.

قام بوراوروبي، مع كل من كروتوف وليتينا صياغة مصطلح «الانطواء» [«involution»](#) للإشارة إلى هذه الظاهرة وهي عملية التكيف التراجعي التي يحافظ على البقاء على قيد الحياة على حساب إعادة البناء الاجتماعي

< ضغوط الدولة النيوليبرالية ومنطق الاستبعاد >

تم استضافة مشروع الانطواء في معهد المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وطاقة الشمال (ISEEP) التابع لمركز كومي العلمي، حيث أسهمت الأعمال الميدانية لبوراوروبي وافتتاحه على الحوار التعاوني في تحويل التحديات التجريبية إلى قضايا مفاهيمية.

مما أدى إلى مبادرة جديدة: تحليل نظام الضمان الاجتماعي الروسي الانتقائي بعد ١٩٩٦. حيث قمنا بالبحث في عن كيفية اكتساب أو فقد السكان الريفيين والحضريين لحالة «الفقر الرسمي»، وكيفية تشكيل السياسة لمفهوم الفقر نفسه.

على الرغم من جذوره الماركسية، احتضن بوراوروبي التعددية النظرية ووافق على تطبيق نظريات ويليام جوليان ويلسون حول الفقر الحضري على السياق الروسي، مما يظهر كيف يمكن للأرضية التجريبية أن تتعش الفتات النظرية.

مع تأكيل حقوق العمل وتحول الإضرابات القانونية إلى أمر شبه مستحيل، تخلت الدولة عن تنظيم سوق العمل. وفي الوقت نفسه، تقلّص تعريفات الفقر. علاوة على ذلك، ومع تزايد عدد الأشخاص الذين ينخبّطون في الفقر وتغيير تكوينهم الاجتماعي، قامت الدولة بتعديل قواعد تسجيل «المحتاجين إلى الدعم». أرسست الدولة آليات تأديب للفتات ذات الدخل المحدود وأخضعت الأفراد للانضباط، موسعة بذلك دوائر المستبعدين من الحق في الحماية الاجتماعية. وقد أدى التباعد البيروقراطي، من قبل الدولة والخبراء السياسات والنقيبات، إلى عزل المجتمع في «صراع بدائي من أجل البقاء»، حيث أصبح إنكار الفقر استراتيجية للبقاء، وتلاشت بذلك الهوية الطبقية.

< سلعنة المعرفة ومواجهة السوسيولوجيا العمومية >

وجه بوراوروبي لاحقاً اهتمامه نحو الجامعة، حيث غدت المعرفة والعمل الأكاديمي عرضة بشكل متزايد للسلعنة في ظل الأنظمة النيوليبرالية. ألقى بوراوي سنة ٢٠٠٧، وبناءً على دعوة من سفيتلانا ياروشينكو،

< مايكيل بوراوي: السوسيولوجيا العمومية و تفاُل الإرادة

بقلم فارين بارفاز، جامعة ماساتشوستس في أمهرست، الولايات المتحدة الأمريكية

مايكيل بوراوي يلقي محاضرة في الهواء الطلق أمام قاعة
ويلر في جامعة كاليفورنيا، بيركلي.
تمویر: آنا فیاریال



أشرف مايكيل على ما يقارب ثمانين أطروحة دكتوراه، البوصلة التي توجه إليه كثيرون بحكم اهتمامهم بقضايا العمل، أو بالاتحاد السوفيتي السابق، أو من كان مهتماً بالتحولات ما بعد الشيوعية. كما لجأ إليه آخرون لدعمه للإثنوغرافيا، أو لاهتماماته بالعمل المقارن كوني، أو لنهجه الماركسي في علم الاجتماع وفي تحليل العالم الاجتماعي. وأنا أنتهي إلى هذه الفتنة الأخيرة، الأمر الذي يعني أنني لم أكن، آنذاك، منخرطة بعمق في كثير من أعماله الميدانية. غير أنني اليوم أجده نفسي في سيرورة اكتشافها، وألهم منها ما استطعت. وأجدني في كل مرة أعود فيها إلى كتاباته، مأخوذة بالشعرية الكامنة في أسلوبه. إذ يظل الشغف الذي بثّه في حياته الواقعية نابضاً بقوه على صفحات أعماله العلمية.

< الباحث الإثنوغرافي والسوسيولوجي والماركسي ذو المسؤولية الأخلاقية الدائمة

شغل مايكيل بصفته باحثاً إثنوغرافياً، عامل إنتاج آلي، ومشروفاً ميدانياً على جمع البيانات as a radial drill operator (ولست متأكدة حتى مما يعنيه <<

ان مايكيل بوراوي المشرف على أطروحتي للدكتوراه، وشخصاً حاضراً في مسار حياتي الأكاديمية والمهنية منذ سنة ٢٠٠١. وقد حظيَتْ بامتياز خوض حوارٍ ثري وممتدٍ معه طوال أربعة وعشرين سنة. كنت قد أرسلت خطاباً للأخير إليه قبل ساعاتٍ معدودات من تلقيِّي خبر بوفاته. حيث قاسمته أفكاره بشأن ورشة تثقيفية و تنويرية حول فلسطين. إذ كان لي سندًا وأحاطني بدعِّي وتشجيعِ سخين. تلقيت بعد دقائق من انتهائِي من تدريس مقاله البديع الصادر سنة ٢٠٠٠ و الموسوم «الماركسية بعد الشيوعية»، في البداية رسالة صوتية، عقبتها قراءة البريد الإلكتروني الذي حمل خبراً نزل عليَّ كالصاعقة.

إنه لأمر مؤمٌ وبهيج في آن واحد أن أُسِّهم في تكرييم إرثه العلمي والإنساني. فمنذ بداياته، ثم عبر دوره في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، ومن خلال رحلاته الممتدة للالتقاء بعلماء الاجتماع في شتى أرجاء العالم على مدار الخمسة عشر عاماً الأخيرة، ظلَّ من بالغ الأهمية بالنسبة إلى مايكيل أن يتتجاوز الحدود الوطنية وأن يصل بين عوام اجتماعية متباينة، ساعيًّا إلى بناء فضاءاتٍ معرفية عابرة للحدود.

< التأثير الشخصي وأجندة علم الاجتماع العمومي

سأقاسمكم الآن بعض التأثير الذي تركه مايكول في نفسي وفي عملي البحثي. ثم أخصّ بعد ذلك إلى بعض كلمات عن علم الاجتماع العمومي.

عندما تقاعد مايكول عن التدريس سنة ٢٠٢٣، كتبت بعض التأملات، كما فعل طلابه الآخرون. وأشاركم هنا مقتطفاً قصيراً من تلك الكتابات. بدأت دراستي العليا في سبتمبر ٢٠٠١، وبعد أسبوعين فقط صوت الكونغرس على غزو أفغانستان، ولم يعد العالم كما عرفناه أبداً. أذكر محاضرات مايكول في مادة علم الاجتماع الموسوم سوسيو: ١٠١ خلال تلك الأسابيع الأولى، حيث تحدى الحرب المرتقبة بنقد جريء ومهارة فائقة، حتى جميع الطلاب في القاعة على التأمل النقدي في أحداث ١١ سبتمبر وما أعقبها (في وقت كانت فيه الوطنية الأمريكية في أوجها). حينها أدركت أنني وجدت مكانى الحقيقى بين دفء الفكر الحر.

خلال بضع سنوات فقط، بدأ مايكول يشق طريقه في رسم أجندة علم الاجتماع العمومي، وكان الحماس والبنية الحيوى المحيط بهذا المشروع محسوساً في كل زاوية. مشكلاً بصورة لا تُمحى على سنوات المتبقية. كما كتب مايكول في مقالته «من أجل علم اجتماع عمومي» (٢٠٠٥). «يحافظ الكثير من طلاب الدراسات العليا - الذين تتراوح نسبتهم بين ٥٠٪ و٧٠٪ - والذين ينجحون في بلوغ درجة الدكتوراه - على التزامهم الأصلي من خلال ممارسة علم الاجتماع العمومي على الهاشم، غالباً ما يكون ذلك خفياً عن أعين مشرفيهم». واليوم ورغم أنني لا أبحث تحت مشرف بالمعنى المباشر مشرفاً بالمعنى المباش، يظل علم الاجتماع العمومي الذي أمارسه على الهاشم هو ما يغذي عزيمتي ويمنح عملي الاستمرارية ، وهو القوة الخفية التي تحملني إلى الأمام.

يظل تأثير مايكول على تفكيري اليوم رقياً في مظهره، لكنه عميق في جوهره لا يزول، صامد لا يتزعزع. يعكس عملي حول الدين والجنون في المغرب ما تعلنته منه عن التحليل النفسي لفرانز فانون في الجزائر، وعن الجذور الاجتماعية للخدمات النفسية التي تشكل الإنسان والمجتمع. أما أبحاثي حول ديون الأسر المععيشية في الهند، فتعودني إلى حبي الأول للماركسية، ذلك الحب الذي رعاه في وأشعل شغفي به. في الحقيقة، كانت ماركسية مايكول ملاذى، وملجاً روحي في عالم متغير.

لقد انجدلت إلى مايكول ليس مجرد جاذبيته الفكرية أو شخصيته الساحرة، بل لأنني كنت أرى في كل شيء أدرسه آثار الاغتراب والطبقية. أكان ذلك من خلال أفكار الناس عن صناعة الإباحية، التي تناولتها أطروحتي للماجستير وشارك مايكول في تقييمها، وفي أشكال التعبئة السياسية بين الأقليات المسلمة. التي كانت محور أطروحتي للدكتوراه (والتي تحولت لاحقاً إلى كتاب). كل ذلك كان ينبع بنفس واحد، نفس علمي كيف يختلط الفكر بالواقع، والفكر الشخصي بالالتزام الاجتماعي.

< أستاذ التفكير النقدي الذي طالما كان همه تغيير العالم

شجعني مايكول في عمله الإثنوغرافي على تجنب موقع السلطة المهيمنة والعالمية الكوزموبوليتانية، والتزييز بدلًا من ذلك على المدن الطرفية في موقع دراستي في فرنسا والهند. وهكذا انتهى بي الأمر إلى دراسة مدينة ليون في جنوب شرق فرنسا ومدينة حيدر أباد في جنوب الهند. وأنا ممتن جدًا لذلك من خلال تجربتي وتعلمي على الهاشم، حيث يكتسب الماء دروساً لا تتوافر في المركب. حظيت من خلال مايكول، بتعلم التفكير التحليلي، وعندما أواجه صعوبة في

ذلك!)، في مصانع المطاط، ومصانع الشمبانيا، ومصانع الأقاث في القطب الشمالي الروسي (وقد مازحته مرة بأنني أرغب في زيارة المكان). برزت أولى أعماله حول العرق والطبقة في مناجم النحاس بزمبيا حيث درس الأسس التي من خلالها يوافق العمال على استغلالهم الذاتي في المصانع الأمريكية وفي عمليات الإنتاج وكذلك التدخلات المختلفة للدولة وللأنظمة الإيديولوجية التي تحافظ على هذا الاستغلال. كما تناول مايكول الاشتراكية القائمة فعلياً في المجر والانتقال السوفييتي نحو الرأسمالية. وقد كان له تعامل مستمر مع أعمال بولاني، وبحث في طبيعة الحركات المضادة المتغيرة: كما أجرى دراسة معمقة وطويلة مع بورديو، ومؤخراً مع علم الاجتماع لدى دو بوير، والمشروع الأكبر المتعلق بتحرير المنهج الأكاديمي من الهيمنة الاستعمارية decolonizing the canon. ساهم مايكول بمؤلفات عديدة في مجال الإثنوغرافيا وألف الكتاب المفضل لدى، المنهج الحقلي الموسّع، جعل بوراوي الجامعة التي يدرس فيها مصنتعاً لدراسة كيفية إنتاج علم الاجتماع ونشره إلى جماهير متعدة. وبالطبع عن إعادة بناء الماركسية. كما كتب نقداً للنيوليبرالية في الجامعات، والرأسمالية العرقية في جنوب أفريقيا، ومثل التزامه بفلسطين من بين مشاريعه الأخيرة حيث أدرك أنه تمثل حالة من الاستعمار الاستيطاني، مستخلاصاً مقارنة تحليلية مع نظام الفصل العنصري/الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، وقبل كل شيء، عمل على تحفيز وتذكير علماء الاجتماع الأمريكيين بمسؤوليتنا الأخلاقية التعبيري الجهر بالكلمة لتخفيف معاناة الفلسطينيين.

< الإبداع الشعري لدى مايكول

أود أن أشارككم فقط بعض المقاطع القصيرة المفضلة من الشعرية في كتاباته: • «ما هي الوضعية؟ يعتقد أوغست كونت Auguste Comte أنه كان من المفترض لعلم الاجتماع أن يحل محل الميتافيزيقا وأن يكشف القوانين التجريبية للمجتمع. كان آخر التخصصات التي دخلت مملكة العلوم، لكنه ما إن يُقبل فيها حتى يحكم ما هو منفلت العقال وغير منضبط، مُنتجاً نظاماً يتطرق من قلب الفوضى. وهكذا تعدد الوضعية علم وأيديولوجيا في الآن ذاته». (المنهج الحقلي الموسّع، ص. ٣١) (Extended Case Method)

• «ليس التدخل من منظور العلم الانعكاسي/التأملي مجرد جزء لا مفر منه في البحث الاجتماعي، بل هو فضيلة ينبغي الإسفادة منها. فمن خلال التفاعل المتبادل نكتشف خصائص النظام الاجتماعي. إذ تحدث التدخلات اضطرابات لا تعدد ضجيجاً واجب محوه، بل تخلق مosisقى تستدرج الروح إلى تقديرها وذلك في استكشافها لأسرار العالم الخفي للمشاركيين». (المنهج الحقلي الموسّع، ص. ٤٠) (Method)

• «ليس هناك ما هو استثنائي يدعونا إلى تأييد القضية الفلسطينية ودعمها؟ [...] لعل المجازة المستمرة بحق الفلسطينيين هي الأشد فظاعة ووحشية على الإطلاق. تحدث أيام أربعينا، حيث على الشاشات: تداهمنا وتلتصق بوجوهنا. تعاصرنا ولا يمكن الفكاك منها. يضفي الدعم غير المشروط الذي تمنحه القوى الغربية لإسرائيل عليها بعداً ذا دلالة تاريخية عالمية. ووفقاً لعالم الاجتماع، لا يكفي أن يعلن ببساطة إلى أي جانب يقف ثم يمضي قدمًا. فعلماء الاجتماع يدمجون التزاماتهم السياسية داخل إطار نظري. وفي حقبة ما بعد الكولونيالية، فإن القمع المنهجي والعلني الذي تمارسه الدولة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين يمنحك طابعاً فريداً، ويدفعنا إلى مراجعة تاريخنا بأعين أخرى مُعيداً منح مفهوم «الاستعمار الاستيطاني» حضوراً جديداً، بوصفه أحد مخلفات الإمبراطوريات المتداigne». إنما كانت هذه ثلاثة فحسب من بين شذرات لا حصر لها. ولا تقل أي منها روعة.

التفاؤل، لأنها معنية بتشكيل الإرادة الجماعية، وفكك القيود، والsusي وراء المستحيل. ... إن تفاؤل الإرادة يستدعي تشاؤم العقل، والعكس صحيح. إنهما توأمان سيمتان.»

رغم أن لدى بعض المؤشرات، إلا أنني لا أعلم إن كان ما يكمل يعتقد أن الأزمات في الولايات المتحدة كانت تتعمق أكثر فأكثر، وأن التناقضات ستبلغ في نهاية المطاف مرحلة النضج التي تقود نحو الاشتراكية. وكان ما يكمل، مع ذلك، يظهر داعمًا حماسًا ودعماً مستمراً للحركات الاجتماعية المعاصرة، بدءاً من حركة «احتلوا وول ستريت» Occupy Wall Streetوصوّلاً إلى جهود تحقيق العدالة في فلسطين، وهو موضوع تناوله بشكل متكرر على مدار سنوات عديدة.

ومع ذلك، كان يذكّرنا على الدوام بأنّ جمهورنا الأساسي والأثّر أهمية يتمثّل في طلابنا الجامعيين. وفي حدود ما نخوضه من حرب موقفية بالمعنى الغرامشي، تُعدّ الجامعة جزءاً من خطوط المواجهة الأمامية. إن تعزيز معنويات الطلاب، ومساعدتهم على إدراك أنّ خلاّل بنويّاً عميقاً يعتري نظامنا الرأسمالي، وأنه بإمكانهم—بل وعليهم—الإسهام في تغييره، يُعدّ، بالنسبة لنا في الحقل التعليمي، رجّاً المهمة الأكثّر جوهريّة التي نضطّل بها.

وبتواضعه المميز، كان مايكل يقول دائمًا إن علم الاجتماع العام هو العلم السائد في كثير من مناطق الجنوب العالمي، من جنوب أفريقيا إلى الهند؛ وأنه لم يكن يقدم تدخلاً جديداً بشكل خاص حين دعا إلى فكرة أن عملنا كسوسيولوجيين يجب أن يكون مسؤولاً أمام الجمهور أو متفاعلاً معه. أعتقد أنه كان يتعلم من النشطاء والسوسيولوجيين في الجنوب العالمي.

> السوسيولوجيا العامة العضوية: نهج أم ممارسة أخلاقية؟

كتب مایکل سنه ٢٠١١، قائلًا: «لایکن أن تكون السوسيولوجيا العمومية اسمًا لعلم اجتماع رديء، ولا ينبغي لها أن تكون طليعية أو شعبوية؛ بل عليها أن تسعى إلى إقامة حوار [بجهد مضى] استنادًا إلى ما نمتلكه من معرفة بوصفنا سوسوولوجيين». (٧٥: ٢٠١١).

يتعين علينا مواصلة هذه الحوارات بين الشمال العالمي والجنوب العالمي، والعمل على تفكيك هذه الثنائية سعياً نحو بناء تضامنٍ حقيقي الذي جسده مايكيل بعمق في ممارسته. كما يتعين علينا الاستمرار في تداول المعرفة بطريقة متعددة الاتجاهات على نحو فعال، بحيث تتقاسم روافدًا مع المجتمعات المحلية ومع الحركات الاجتماعية. لن يكون هناك توافق دائم في وجهات النظر، ولدى من يعملون في الإثنوغرافيا على وجه الخصوص قد لا تكون استنتاجاتهم دائمًا مما ترغب المجتمعات في سماعه. غير أن الحوار والجدل يشكلان جزءاً من العملية التي تمضي من خلالها قدمًا—وهذا ما يؤسس لتقليد معرفيًّا.

هكذا يتضح بالاستناد إلى مقال كتبه سنة ٢٠٢١، أن مايكل أستشغر أن مايكل كان يرى، على نحو متزايد، أنَّ من الضروري أن تتجاوز السوسيولوجيا العامة الوسائل التقليدية كالكتابة للصحافة والمقلات الرأية والإذاعة، نحو الانخراط الفعلي بدلاً من ذلك مع النشطاء والمجتمعات في إطار ما سماه «السوسيولوجيا العامة العضوية».» وهذا هو الاتجاه بالنسبة لي شخصياً، الذي أسعى إلى تطويره. فلا توجد خارطة طريق جاهزة للمضي فيه، وما زلت أتعلم عبر الممارسة المستمرة. أحياول أن أجد تلك النقطة التي يلتقي فيها التحليل والنظرية السوسيولوجية مع الواقع المعيش، ومع التواصل المباشر وجهاً لوجه مع الفئات الأكثر تضرراً من

صياغة الحجة، أعود إلى الجدول ثنائي البعـد (٢٠٢٠) الذي كان مولـعاً به، لأجد
الوضوح والدقة اللذين غالباً ما يكونان بعيدين المـناـل. بالطبع، ساهم ما يـكـلـ في
تشكيل فهـمي للاشـوـغـارـافـيا. وبينما كنت أـتـعـاملـ معـ أـسـتـلـةـ أـخـلـاقـيةـ عـمـيقـةـ وـعـلـاقـاتـ
الـقـوـةـ فيـ المـيدـانـ، وأـدـرـسـ الـمـجـتمـعـاتـ الـمـسـلـمـةـ الـمـهـمـشـةـ، كنت أـعـلـمـ أـنـ رـوـحـ ماـيـكـلـ
ترـاقـفـيـ. وقد اـقـبـستـهـ فيـ الـمـلـحـقـ الـمـنـهـجـيـ فيـ كـتاـبـيـ.

اقتبس مجدداً من كتاب مايكل المنهج الحقلي الموسّع *Extended Case Method*, حين يجادل: «بغض النظر عن الجانب الذي نتبناه، سواء كان رؤساء أو عمالاً، بيضاً أو سوداً، رجالاً أو نساء، فإننا نكون بالضرورة متواطئين في علاقة هيمنة. وبصفتنا مراقبين، ومهما حاولنا خداع أنفسنا، فإننا نقف على «جانبنا الخاص»... (غولدنر ١٩٦٨). قد تكون مهمتنا نبيلة، كدعم وتوسيع الحركات الاجتماعية، وتعزيز العدالة الاجتماعية، وتوسيع آفاق الفعل اليومي، لكن لا يمكن تجاوز التباين الجوهري بين المثقفين، مهما بدا التمثيل عضوياً، ومصالح مصالح الفتنة التي يعلنون تمثيلها.

كان مايكل يعيش أطروحة ١١ وينفسها، حتى غدت جزءاً من حياته. لم يكفي الفلسفة عبر العصور إلا بتأويل العالم بصورة شئٍ غير أنّ جوهر المسألة يكمن في السعي إلى تغييره.

سمة نمودجية أخرى في شخصية مايكل و التي آمل أنها كانت قد أثرت في
ألا وهي استعداده لتغيير نفسه مع تغيير العام. ومرة أخرى، كان هذا متسقاً مع
فهمه للماركسيّة. فعلى الرغم من أنه كان يدرس صفة في النظريّة الاجتماعيّة
بطريقة محددة جدًا لعقود، إلا أنه تبّى أفكار دو بوا وشرع في حوار جديد كلّياً،
وببدأ بتغيير محتوى الدرس النظري. فقبل أن يتناول دو بويز Du Bois كان
طایلک تجربة طويلة مع بورديو. (أذكّر أنه سجل في مساق الدراسات العليا التي
كان يقدمها لوک واسكونت حول بورديو وكان يتذمّر من كم الواجبات المنزليّة!)
وكنت محظوظة بأن كنت أتممي تلك الجموعة من الطلاب التي كانت تناقش
وتجادل حول حدود المنظور البورديوي وإمكاناته. كان لدى مايكل حاجة عميقة
لفهم وإيصال إطارات النظري الخاص، وكان من المثير أن أشارك جزءاً صغيراً من تلك
الحاجة والطاقة الفكريّة.

< إرادة متقدمة بالتفاؤل ورغبة لا تتوقف في المضي قدماً.

كان مايكل قد **كتب** سنة ٢٠١١: «يُعرف أنطونيو غرامشي بعبارته الشهيرة: «تشاؤم العقل، وتفاؤل الإرادة». فالتشاؤم العقلي يشير إلى التحديد البنوي للعمليات الاجتماعية، ما يضع حدوداً لما هو ممكن. أما السياسة، فهي تتطلب

العام، وربما الآلاف؟ لقد كان يتحلى بالانفتاح، والإيمان بحدس الآخرين، ويتميز باللطف والتواضع، بتلك الروح الديمقراتية الحق ألا وهي الإيمان بأنه يمكنك التعلم من أي شخص، وإتيقا التعامل مع الجميع بالاحترام، من طلابه إلى عمال النظافة في المبني. لا تفهموني خطأ، فقد كان أحياناً غير صبور، وله يكن لديه أي تسامح مع الكسل الفكري أو التظاهر الكبير. لكن كان مايكل جمهور واسع، في الشمال العالمي والجنوب العالمي على حد سواء، وما من سوسيولوجيته العمومية مصدقاتها هو هذه الأخلاق، وأسلوب حياته.

أحزن لواقع لأنني لن أتمكن من خوض هذه الحوارات مع مايكل حول السوسيولوجيا العمومية والتنظيم فيأزمنة حالكة. لكن في مراحل الحزن التي أمر بها، أفكر في أن أستفيد من كل الأشياء التي أحببها فيه، من الفكاهة والطاقة والتفاؤل والأخلاق، وأن أجعلها جزءاً مني. أعتقد أن هذه هي الرحلة الآن لكل منا من الذين كنا في فلكله، والذين تمكنوا من التعلم منه والاستفادة من عطائه وفضله. كان مايكل قد كتب في المنهج الحقولي الموسّع قائلاً : «حين تهتز الأرض تحت أقدامنا على الدوام، نلجم إلى عكاٍ يعيينا على الثبات». وأعتقد أن ستكون مجموعة كتابات مايكل بورووي (الذي أعتبرها شعراً) وأخلاقه (التي حظيت بفرصة أن تكون ساهدة عليها) ذلك العكاـز ■

يعتمد هذا المقال على ملاحظات كنت قد قدّمتها في غرة مارس ٢٠٢٥ ، خلال ندوة عبر الإنترت أقيمت تكريماً لمايكل بورووي نظمتها شبكة النظرية الاجتماعية ومقرها بنغلاديش. حملت الندوة عنوان «السوسيولوجيا العامة والجنوب العالمي» وقد نُشرت النسخة الأولى من المقال في مجلة بيركلي للسوسيولوجيا. [Berkeley Journal of Sociology](#)

توجه كل المراسلات إلى فارين البارفيز على البريد الإلكتروني parvez@soc.umass.edu

^١ عبارة “table ٣x٢ the” تشير إلى جدول ثالثي البعد (٢x٢)، غالباً يستخدم في التحليل الأكاديمي لتوضيح العلاقات بين متغيرين أو لتقسيم المفاهيم بطريقة منظمة وبصرية تساعد على التفكير النقدي. (المترجمة)

العنف والمعاناة التي نسعى لمواجهتها—سواء كانوا من مجتمعات اللاجئين، أو العمال المهاجرين، أو نشطاء الطبقة العاملة المظاهرين في الشوارع.

على الرغم من أنّ مايكل لم يُخُض في التفاصيل الدقيقة المتعلقة بكيفية إدارة تلك العلاقات السلطوية، أو الكيفية الدقيقة لإجراء تلك الحوارات، ولا سيما عبر الانقسامات الطبقية، فإني أعتقد أنّ يامكاننا مع ذلك أن نتعلم من تجربته. وتحديداً، أتساءل عمّا إذا كانت السوسيولوجيا العامة العضوية يمكن أن تكون عملية أو ممارسة أخلاقيات.

لم يكن مايكل ليعبّر عن الأمر بهذه الطريقة، ولكن استناداً إلى مثاله، أعتقد أن السوسيولوجيا العمومية العضوية ربما تتعلق بالالتزام بالعلم، وكذلك بالالتزام بالانخراط في صفو مع الناس بإحساس إنساني عميق ، وبنوع من القناعة الأخلاقية والسمة الأخلاقية.

إرث مايكل: الفكاهة، والطاقة، والتفاؤل، والأخلاق لدعمنا على أرض مهزة ما هي بعض الخصال الشخصية لمايكل بورووي التي أثّرت في المئات منا حول

< عملية العمل وإنتاج الميمنة:

إسهامات بورااوي

بقلم، أيلين توبال، جامعة الشرق الأوسط التقنية - تركيا

يتجاوز الزمن اللازم لإنتاج قيمة تعادل أجر قوة العمل. وبينما على ذلك، لا تقتصر عملية العمل الرأسمالية على إنتاج القيمة الاستعملية أو القيمة التبادلية لقوة العمل، بل تمتد لتشمل إنتاج فائض القيمة المتولدة اجتماعياً والاستحواذ الخاص عليه. وتتطوّر هذه العملية على علاقة توثر مستمرة بين تعظيم استخراج فائض العمل غير المدفوع، من جهة، وتعظيم القيمة التبادلية لقوة العمل بما يتتجاوز حد الكفاف الأدنى، من جهة أخرى. ورغم الطابع المركزي لهذه التوترات المتجذرة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج، ظل البحث التفصيلي والنقاش النظري المنخرط في قضيّات الإنتاج وعملية العمل محدوداً إلى حد كبير حتى سبعينيات القرن العشرين.

< الأعمال النقدية الرائدة

سعت مجموعة من علماء الاجتماع سنة ١٩٥٤ إلى دراسة علاقات العمل والأنظمة الصناعية في بلدان مختلفة من منظور مقارن، مع التركيز على التنمية الاقتصادية، وأسواق العمل، والعلاقات بين الدولة ورأس المال والعمل (وهو ما يُعرف بعلاقة العمل الصناعية). وقد انطلقت هذه الدراسات من دافعٍ أساسي تمثّل في محاولة الكشف عن الأنماط الكونية لعملية التصنيع، إلى جانب الأشكال الخاصة بعلاقة العمل والتكون الصناعي التي تتشكل تبعاً للسياقين الثقافي والسياسي في كل سوق على حدة. وقد أسفر هذا المشروع الباحثي، الذي مؤله مؤسسة فورد، عن صدور كتاب مشترك سنة ١٩٦٠ بعنوان [الصناعية والإنسان الصناعي Industrialism and Industrial Man](#). ركز هذا العمل على تأثير نخب التصنيع في كل بلد على المسار الفعلي لعملية التصنيع.

غير أن هذه الدراسات أخفقت في تجاوز إطار نظرية التحديد، التي شددت على دور «نخب التصنيع» بوصفها وسيطاً بين العمال وأرباب العمل من أجل تحقيق الاستقرار والنمو الاقتصادي. كما أن تصورها الوظيفي للعلاقات السببية، وطابعها اللاتاريخي، وميلها إلى الدوران التفسيري المغلق (التواترولوجيا)، حال دون إثارتها لنقاشات أوسع خارج دوائرها الأكاديمية المحدودة.

ويُعد كتاب هاري برافمان [العمل وأسّال المال الاحتقاري: تدهور العمل في القرن العشرين Labor and Monopoly Capital: The Degradation of Work in the Twentieth Century](#)، الصادر عام ١٩٧٤، أحد الأعمال الرائدة التي قدمت فحصاً نقدياً مركبةً لعملية العمل في المجتمع الرأسمالي. يجادل برافمان بأن الرأسمالية، رغم اقترانها بظهور تقنيات حديثة، تقوّد في مسارها التاريخي إلى تآكل واسع النطاق للمهارات، سواء في المصانع أو في المكاتب. ويقرأ تاريخ الرأسمالية بوصفه تارياً لنزع المهارة عن الجماهير، في حين جرى حصر العمل الماهر في فئة محدودة جداً من العمال، تضمّ المهندسين والمديرين. أما العمل متزوج المهارة، فيتحول إلى ملحق قابل للاستبدال بآلات الإنتاج. وباختصار، يؤكد برافمان أن التأليورية ليست «أقل من التعبير النفطي الصريح عن نفط الإنتاج الرأسمالي».

| تقيّي بالبروفيسور مايكيل بورااوي شخصياً وللمرة الأولى خلال مؤتمر مجلس الجمعيات الوطنية التابع للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، الذي عُقد في أنقرة عام ٢٠١٣، حين كان يتوّلي رئاستها. ومنذ ذلك الحين أصبحتُ عضواً فاعلاً في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، واستمر التواصل بيني وبينه عبر اللقاءات في مؤتمرات الجمعية وتبادل المراسلات الإلكترونية حول قضايا سياسية مفصلية. وقد تقيّي بورااوي بكونه عالم اجتماعياً للتخصصات بحقّ. وبوصفي باحثة في العلوم السياسية، كان انضمامي إلى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع نتيجة مباشرة لهجه الترحبي والتزامه الصارم بالبحث القائم على الأسئلة العابرة للحدود التخصصية.

وقد جمعني بورااوي صديقٌ مشترك هو إريك أولين رايت، الذي وافته المنية عام ٢٠١٩. وقد انشغل رايت في مقالاته العلمية بتأملات عميقة حول الحياة والمموت وما بعد الحياة، وذلك أثناء صراعه مع مرض اللوكيميا. وأنذك تبادل مراسلات مع بورااوي حول المنظور المادي الذي تبنيه رايت، والقائم على فكرة عودة الأجساد المادية إلى الكون في هيئة غبار نجوم، بما يعكس ارتباطاً كونيّاً عميقاً. ومن المعروف أن بورااوي تبني هذا المنظور الإنساني القائم على إعادة اندماج الإنسان في العالم الطبيعي. وبذلك، فإن حضوره لا يقتصر على استمراره الرمزي في هيئة غبار نجوم، بل يتجلّي أيضاً في الأثر العلمي المستدام لأعماله، التي ستظل محل قراءة واستشهاد في الدراسات المعنية بطبيعة عملية العمل الرأسمالية وديناميّات الصراع الظّبقي. وفي هذا السياق يهدف هذا المقال إلى إبراز إسهاماته في الأدبيات السوسيولوجية ذات الصلة.

< قوة العمل

تحتل عملية الإنتاج موقعًا محوريًا في النظرية الاقتصادية، إذ يبدأ تعريف الاقتصاد ذاته بالإنتاج، الذي يمكن اعتباره عملية تحويل لأشياء ذات قيمة استعملية معينة إلى أشياء ذات قيمة استعملية مغایرة. وعليه، فإن الإنتاج يعني بالضرورة إنتاج قيمة استعملية جديدة. وتحقق هذه العملية من خلال فاعلية قوة العمل و ذلك في تفاعلها مع وسائل الإنتاج، مما يؤدي إلى تحويل موضوعات العمل وإنتاج قيم استعملية جديدة. غير أن هذا التحول لا يكتسب دلالته السوقية إلا بقدر ما يقترن بإنتاج قيمة تبادلية أعلى.

ينطوي نفط الإنتاج الرأسمالي في جوهره على تناقض بنائي أساسياً. ففي الأسواق الرأسمالية، لا يمتلك العمال وسائل الإنتاج التي يتعين عليهم استخدامها لإنتاج قيم تبادلية أعلى. ومن ثم، يتطلب الأمر استثمار الرأسماليين في قوة العمل. ويعُد هذا الاستثمار ضرورة بنوية، نظراً إلى أن قوة العمل هي وحدها القادرة على إنتاج قيمة تبادلية جديدة تتجاوز القيمة السابقة للموضوعات المنتجة. ويكون هذا الاستثمار مربحاً بقدر ما تتجاوز القيمة التي يخلقها العمال القيمة التبادلية لقوة عملهم ذاتها. ويمثل الأجر القيمة التبادلية لقوة العمل، وهو مستوى يُحدّد اجتماعياً بما يكفل إعادة إنتاج قوة العمل واستثمار معيشة أسر العمال. وفي المقابل، يسعى الرأسماليون إلى تحقيق الربح من خلال تجديد زمن العمل إلى ما

”التفاعل بين الإكراه والموافقة“ الذي يحجب الطبيعة الاستغلالية للرأسمالية“

يظل محدوداً، لأن منظور الباحث يتشكل هو الآخر ضمن سياق اجتماعي محدد. ولكي يتمكن الباحث من تجاوز حدود التعاطف المنهجي، يحتاج إلى الوصول المباشر إلى واقع المبحوثين. ومن ثم، يصبح البحث الإثنوغرافي ضرورة منهجية للإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة بعملية العمل.

< بوراووي: الأطر النظرية المؤسسة

لم يقتصر مايكول بوراووي على التميز بالصرامة الفكرية الاستثنائية فحسب، بل تميز أيضاً بحس عميق من التعاطف، والالتزام بالتواضع، والانعكاسية النقدية. ومن خلال هذه الخصائص، ساهم بشكل جوهري في النقاش حول عملية العمل. ويكمّن الفرق الأساسي بينه وبين الباحثين الآخرين في أنه حاول الإجابة عن هذه الأسئلة ليس من موقع الباحث الموضوعي البعيد، بل من خلال استخلاص الإجابات من تجربته الذاتية كعامل في المصنع. فقد قضى وقتاً كبيراً في العمل بالمصنع، وقد شكل ذلك فهمه العميق لديناميات مكان العمل، ومواقفة العمال، والتفاعل بين العمل وعملية العمل الرأسمالية.

ويستند كتابه *صناعة الموافقة: التغيرات في عملية العمل في ظل الرأسالية* (*Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism*) إلى خبرته الميدانية بوصفه عاملًا في ورشة الماكينات بشركة أليد فيشيكياغو. يبدأ بوراووي تحديداً بأسئلة حول كيفية قيام العمال بتبني دور الإدارة وإعادة إنتاجه بنشاط. ويشير إلى أنه يجب البحث عن الإجابات المحتملة على هذه الأسئلة ضمن عملية العمل الرأسمالية نفسها، باعتبارها تنتج كلاً من الموافقة والسلع. وبشكل مشابه لمفهوم فريدمان عن «الاستقلالية المسؤولة»، يلاحظ بوراووي أن العمال يدركون أنفسهم وكأن لديهم خيارات.

يتمثل جوهر المسألة في أن وهم الاختيار هذا يجعل العمال يستبطئون، عن وعي، قواعد الحكم الرأسمالي في عملية العمل وكمعامل على الماكينات، عاش بوراووي الروتين اليومي والتفاعلات الاجتماعية على أرض المصنع. حيث يروي كيفية شعوره الشخصي بالضغط الناتجة عن حرص الإنتاج، والسيطرة الإدارية، والعلاقات بين العمال في مواجهة تلك الضغوط. ويقدم تفاصيل قيمة حول كيفية سعي العمال إلى تجاوز حرص الإنتاج من أجل الحصول على مكافآت أو فترات استراحة إضافية. مؤكداً أن هذه الاستراتيجيات الشيّهة بالألعاب، التي يطلق عليها مصطلح «التفوق على الحصة» (*making out*)، مثل عناصر من الموافقة على الاستغلال الذاتي. كما يرى أن التركيز على مفهوم السيطرة وحده يحجب فهم طريقة عمل الرأسمالية الفعلية. وبدلًا من ذلك، يبرز بوراووي التفاعل بين الإكراه والموافقة ضمن عملية العمل، مما يكشف عن طبيعة الاستغلال الكامنة في الرأسمالية.

< سياسات الإنتاج في المجتمعات الرأسمالية، والاشراكية، وما بعد الاستعمارية

وسع بوراووي لاحقاً هذه الأفكار المؤسسة لتشمل سياساً عالمياً أوسع وعلى مستوى المакرو في كتابه *سياسة الإنتاج* (*The Politics of Production*) الصادر سنة ١٩٨٥. حيث ركز في هذا الكتاب على الأطر السياسية والمؤسسة للإنتاج في سيارات زمانية ومكانية مختلفة. يجادل بوراووي أن سياسات الإنتاج تحددها سياسات الدولة، وأسواق العمل، وديناميات الصراع الطبقي. ووفق هذه المحددات، يتم تشكيل تنظيم العمل وأرضية المصنع ضمن أنظمة عمل وسياسات إنتاج مختلفة في المجتمعات الرأسمالية، والاشراكية، وما بعد الاستعمارية.

<<

تتوافق أطروحة برافerman حول نزع المهرة مع الموضوعات التي يجسدها فيلم *تشاريلى تشابلن الأزمنة الحديثة Modern Times* الصادر سنة ١٩٣٦، الذي ينتقد الآثار الإنسانية للتصنيع وعمليات العمل الرأسمالية. إذ تؤدي إعادة تقسيم المهام المعقدة إلى أعمال بسيطة ومتكررة إلى اغتراب العمال عن عملهم، كما تُفرغ إحساسهم بالغاية والقيمة، ليجري استهلاكه لصالح الآلة. ولا شك أن التقسيم التقني للعمل في عملية الإنتاج الرأسمالية يشكّل، في جوهره، عملية العمل ذاتها. إذ إن عملية الإنتاج المعقدة ليست عملية متتجانسة، بل هي سيرورة متشطية داخلياً بفعل التقسيم الرأسمالي للعمل. ومع تمايز فروع الإنتاج وتقسيمهما، لا يخرج العمال في جميع التحولات التي تمر بها السلعة، بل يتفاعلون معها عادةً في مرحلة محددة من مراحل إنتاجها. وقد ألهم هذا النقد الجذري لعملية العمل الرأسمالية عددًا من الدراسات اللاحقة في المجال، وأسهّم في إشعال نقاشات حادة وواسعة حول عملية العمل بين باحثين ينتمون إلى مجالات معرفية متعددة.

< رؤى مستمدّة من فريدمان وإدواردز: الحاجة إلى البحث الإثنوغرافي

بعد أن قام برافerman بكشف الستار عن طبيعة عملية العمل الرأسمالية، انصب الجدل النظري على سؤال بسيط في ظاهره، لكنه بالغ الأهمية في جوهره: لماذا يعمل العمال بالجدية والشدة التي يعلمون بها؟ ويفند هذا السؤال بدوره إلى تساؤل أعمق: كيف يستطيع العمال الأسس الجوهرية للرأسمالية التي تفرض عليهم قيودها؟ وقد جاءت الاستجابات النقدية لهذه الإشكاليات على نحو خاص من أندرو فريدمان وريشارد إدواردز، ولاحقاً مايكول بوراووي. شدد أندرو فريدمان *Andrew Friedman* على وجه آخر من أوجه السيطرة الرأسمالية على العمل، بدلًا من إخضاعهم للرقابة المباشرة أو الإشراف الصارم، يُنحوون شكلاً من «الاستقلالية المسؤولة» التي تسمح لهم بالتماهي طوعاً مع أهداف المؤسسة. ويزّر فريدمان في هذا السياق الواقع المتغير والمرن لأ amat السيطرة الإدارية التي تتشكل استجابةً لاستراتيجيات مقاومة العمال. وعلى نحو مماثل، قدم *ريشارد إدواردز منظوراً أكثر تحقيقاً للعلاقات في مكان العمل*، مؤكداً طابعها العلّاقي والاستراتيجي.

أشار إدواردز إلى أن تحليل برافerman يمتد إلى تعليم الخصائص الأساسية للتاييلورية عبر تاريخ الرأسمالية بأسره. و لا مندوحة أن مبادئ الإدارة العلمية التي بشّرت بها التاييلورية تركت أثراً عميقاً في أamat السيطرة على عملية العمل طوال القرن العشرين، غير أنها تظل، في النهاية، شكلاً واحداً من أشكال الإدارة والسيطرة. كذلك، يميّز إدواردز بين ثلاثة أamat للسيطرة الإدارية وهي السيطرة البسيطة، والسيطرة التقنية، والسيطرة البيروقراطية، حيث تمثل كلًّ منها استراتيجية مختلفة للإدارة. كما يقدم مفهوم «أماكن العمل المتنازع عليها»، حيث لا تكون السيطرة مطلقة، بل تخضع باستمرار لعمليات تفاوض وصراع بين العمال والإدارة. وعلى خلاف تصوير برافerman للعمال بوصفهم فاعلين سلبيين، يولي إدواردز أهمية كبيرة للطابع الصراعي لعلاقات العمل وملامسات مقاومة العمال. ومع ذلك، ورغم أن كلاً من فريدمان وإدواردز أدخلوا فاعلية العمال (*Agency*) في تحليلهما، فإنهما لم يقدمما إجابة شافية عن الإشكاليات المطروحة.

للإجابة عن سؤال كيف يوافق العمال، في إطار عملية العمل الرأسمالية، على استغلالهم الذاتي، يحتاج الباحث إلى مستوى عالٍ من التعاطف المنهجي. إذ تبدو مسألة فهم منظور الفاعلين الاجتماعيين في العلوم الاجتماعية مهمةً مقدمةً ومحفوظة بالصعوبات، إذ تتطلب تعليق الافتراضات المسبقة والتصورات النظرية الجاهزة من أجل ادراك تجاربهم المعيشية على نحو أصيل. غير أن التعاطف، بدوره،

في تيسير شروط الإنتاجية. فعلى المستوى الظاهري، ينتج العمال الأفراد أجزاء من السلعة، غير أن الإنتاج في جوهره عملية اجتماعية. فالعامل الجماعي هو الذي ينتج السلعة كاملة. وبذلك، تُنتج عملية العمل الرأسمالية اليمنة في آن واحد من خلال تحويل العمال إلى أفراد معزولين، ومن خلال إيقاهم في الوقت نفسه جزءاً من قوة العمل الجماعية. وكما أشار ماركس، فإن القوة الجماعية للإنتاج الاجتماعي تتحقق عبر تنظيم العمل «في جسد إنتاجي واحد»، بهدف تحسين إنتاجيته.

< بوراووي والإطار المفاهيمي لإنتاج الهيئة الطبقية

يشير بوراووي (كما في إشارة ماركس أيضاً) إلى ممارسة الرأسماليين وإدارتهم للسيطرة بشكل صارم على عملية العمل. ويُعد إخضاع العمل لرأس المال النتيجة الشكلية لكون العامل يعمل لصالح الرأسمالي وبالتالي تحت سيطرته. فالتحكم الرأسمالي يحدد جوهر متطلبات سير عملية العمل نفسها. كما تُعد السلطة التوجيهية ضرورية لضمان التعاون المتtagم وتطوير المؤسسات الإنتاجية. ومن ثم، يصبح العمل على التوجيه والإشراف وضبط عملية العمل أحد وظائف رأس المال. ومع ذلك، لا تقتصر الدوافع التي تقود الرأسماليين للسيطرة على عملية العمل على زيادة التعاون والإنتاجية فحسب، بل يظل رأس المال والعمل في صراع مستمر على السيطرة على زمن العمل والاستحواذ على فائض المنتج. وَتُعد الإدارة والإشراف أدوات حاسمة لمواجهة أي تصاعد للتمرد في مكان العمل. كما أنّ عنصر الموافقة حاضر باستمرار في تحليل ماركس، إلا أنّ ماركس، بوصفه يكتب نصاً سياسياً أساساً - خلافاً لبوراووي الذي يكتب نصاً سوسيولوجياً - لم يتناول مسألة كيفية وسبب موافقة الطبقة العاملة على الإدارة.

توفر دراسات بوراووي إطاراً مفيداً لفهم إنتاج الهيئة الطبقية، مع التركيز على كيفية إعادة عملية العمل الرأسمالية لنشوء أشكال واعية مضادة للصراع. ومع ذلك، يشير بوراووي إلى أن العمال غالباً ما يشعرون بعدم الرضا والإحباط في مكان العمل بسبب ضخوت حضور فائض العمل، والإشراف الصارم، والمهام المتكررة. وما يظهر هنا ليس بالضرورة وعيًا طبعياً بحد ذاته، بل وعيًا بمعارضة تعبّر عن نفسها بطرق عمل جديدة. فحتى عندما يدرك العمال بوعي أن الهدف من الأعمال هو تحقيق الربح من خلال استخراج فائض القيمة الذي ينتجونه، تكون مطالبهن اقتصرت غالباً على الكرامة والاستقلالية. ومن ثم، فإن العلاقات الموضوعية للعمال بوسائل الإنتاج تولد حتماً صراعات تشكل خبرتهم بطرق طبقية. **وكما يجادل طومسون**، فإن الطبقة داماً موجودة في صور الإحباط وعدم الرضا، إلا أن هذه التوترات لا تترجم بالضرورة إلى وعي طبعي.

ويستخدم بوراووي إطار غرامشي للهيئة، الذي يجمع بين الموافقة والإكراه مع لحظات تشكيل الإرادة الجماعية. ويوفر غرامشي إطاراً نظرياً ومفاهيمياً غنياً يساعد على فهم تحول الذات الفردية ضمن كلية الممارسة بوصفها لحظات لتشكيل الإرادة الجماعية. وتوضح رواية بوراووي كيف تختلف التجارب اليومية للعمال عن بعضها البعض، ما يقوّض هويتهم الجماعية وإمكانية تشكيل إرادة جماعية. ولهذا السبب، يتنافس العمال فيما بينهم، على سبيل المثال، للوقاء بحصتهم الفردية من أجل الحصول على امتيازاتإضافية. وقد تجعل مصالحهم الاقتصادية الفردية من الصعب على فئات من العمال العمل بتضامن.

كما يشير **فيليبي** إلى أن غرامشي يعرف الأفراد بوصفهم كيانات متدرجة ومترابطة تتشكّل في علاقتها بالمجتمع. ومن ثم، يُنظر إلى الفرد باعتباره «إنساناً جماعياً» يبني عبر الحسن المشترك ويتغير باستمرار ضمن المجال الأيديولوجي. ويشير بوراووي إلى أهمية المجال الأيديولوجي في كتابه سياسة الإنتاج، رغم أنه لا يدخل في تحليل على مستوى الدول. ومع ذلك، يؤكد بوراووي أن تحليله يرتكز على السياق الأمريكي، حيث يؤدي غياب القيادة السياسية والفكري للطبقة

في المجتمعات الرأسمالية، يؤكد بوراووي على أهمية الإدارة نظراً للأولوية القصوى لتعظيم الربح. ويشير إلى كيفية حفاظ قوانين العمل، وسياسات الرعاية الاجتماعية، والعناصر الأيديولوجية على السيطرة على العمال. أما في اشتراكية الدولة للاتحاد السوفيتي، غالباً ما تؤدي المفاوضات بين العمال والإدارة حول السيطرة البيروقراطية إلى علاقات نزاع و ذلك نتيجة التباين بين أولويات الدولة واحتياجات العمال. وتساهم هذه العناصر في تكوين سياسات إنتاج اشتراكية توفر حواجز مختلفة لصناعة الموافقة وإقامة آليات المقاومة. وأخيراً، وفي سياسات الإنتاج ما بعد الاستعمارية، يأخذ بوراووي تحليله إلى المستوى العالمي ليبيّن كيف تستمر العلاقات الإمبريالية في تحديد عمليات العمل في السياق ما بعد الاستعماري. تغذى تفسيراته حول كيفية تأثير الرأسمالية العالمية على أنظمة العمل روئيته حول عمليات العمل في ظل النبوليرالية.

< تفعيل بوراووي لتحليل ماركس، و إبرازه لحتمية الإنتاجية

يقدم بوراووي من خلال هذين الكتابين المتكاملين، إطاراً تحليلياً شاملأً لفهم عمليات العمل، في توليف بين التجارب اليومية للعمال من جهة، وبين القوى السياسية والاقتصادية الأوسع من جهة أخرى. وبذلك، يؤكد أهمية الربط بين مستويات التحليل المختلفة. كما يشير إلى توجّب تناول مسألتي السيطرة والمwoffقة، بوصفهما عنصرين مكونين لعملية العمل الرأسمالية، وذلك لكونهما يعكسان الطابع الثنائي للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية في الإنتاج. فالعمل في موقع العمل يكون، في الوقت نفسه، ممكناً ومقوماً، في سياق السعي إلى إضفاء الهيئة على تصوّرٍ محدد وشروط بعينها لعلاقات الإنتاج.

يقود تحليل بوراووي بالضرورة إلى إبراز حتمية إنتاجية العمل. إذ ينجح في تفعيل تحليل ماركس لعملية العمل على نحو عملي وإجرائي. إذ تُنظم الحياة العملية تنظيمياً موضوعياً حول الإنتاجية. ← فالإنتاجية هي التي تُنتج فائض القيمة. ← ويشكّل التثمير الذاتي لرأس المال إلى أقصى حد ممكن الدافع الأساسي للرأسماليين. ← وعندما يعثر مالك المال على قوة عمل حرة في السوق ويتلكها، يتحول المال إلى رأس مال قابل للتراكم. ← ويكون العمل الاجتماعي المنظم في جماعات أكثر إنتاجية من عمل العمال الأفراد؛ وبعبارة أدق، تصبح قوة العمل منتجة بوصفها قوة جماعية. ← ويتمثل هدف الرأسمالية في زيادة الربحية إلى أقصى حد ممكن. ← ومن أجل تحقيق مزيد من التراكم، يشتري الرأسمالي قوة العمل من أعداد كبيرة من العمال بهدف تعزيز القدرة الإنتاجية للعمل الاجتماعي. ← وبالتالي، يُشعل عدد كبير من العمال ليعملوا جنباً إلى جنب، سواء في العملية الإنتاجية نفسها أو في عمليات مختلفة لكنها متربطة، وذلك من أجل زيادة الإنتاجية.

وتهدف الرأسمالية، وفق هذا المنطق، إلى زيادة الربحية إلى أقصى حد ممكن. ومن أجل تحقيق المزيد من التراكم، يقوم الرأسمالي بشراء قوة العمل من أعداد كبيرة من العمال بهدف تعزيز القدرة الإنتاجية للعمل الاجتماعي. ومن ثم، يتم تشغيل أعداد كبيرة من العمال يعملون جنباً إلى جنب، سواء في العملية الإنتاجية ذاتها أو في عمليات مختلفة لكنها متربطة، بغرض رفع مستوى الإنتاجية. ويقود هذا التسلسل التحليلي إلى ما أطلق عليه ماركس اسم «تعاون العمال». والأهم من ذلك أن هذا التعاون يجري وفق خطة مُسبقة يضعها المديرون والمشرفون نيابةً عن مالكي وسائل الإنتاج.

كذلك، يبيّن إطار بوراووي التحليلي أن تقسيم العمل ليس غاية في حد ذاته، بل يُعدّ وسيلة لتحقيق الإنتاجية. إذ يعيد النظام الرأسمالي إنتاج ذاته من خلال إنتاجية العمل، إذ إن زيادة إنتاجية العمل تعني زيادة إنتاج فائض القيمة. وقد شُكّل تعميق التقسيم التقني للعمل أحد السبل الأساسية لرفع الإنتاجية. ومن ثم، فإن دور الإدارة لا يتمثل بالضرورة في تنفيذ تقسيم العمل، بقدر ما يتمثل

من الواضح أن الشخصية المتسارعة في العصر النيوليبرالي كان لها أثر ملحوظ في العمال في الشركات المخصصة، وذلك بفقدانهم لوظائفهم جماعياً وحرمانهم من حقوقهم الاجتماعية. ومع ذلك، فقد أظهرت استجابات العمال تجاه سياسات الشخصية هذه علامات ضعف واضحة على عدم الرضا. ومن ثم، تطرح الحاجة إلى تعميق البحث حول غياب مظاهر القلق أو التذمر تجاه سياسات الشخصية.

كما ينبغي أن ترکز الدراسات الجديدة على مركزية عملية العمل وتجارب العمال في كسب لقمة عيشهم، إلى جانب تحليل مظاهر الهيمنة ومقاومة الهيمنة في ظل النيوليبرالية. تجدر الإشارة كذلك إلى امكانية تباين تجارب العمال في مكان العمل في العصر النيوليبرالي. وبدلًا من تحديد عملية عمل نيوليبرالية موحدة ومتجانسة وتحليلها، ينبغي للدراسات الجديدة اعتماد مواقف أولية تعكس فكرة أن عملية العمل تتجلّى في أشكال وأبعاد مختلفة في قطاعات الاقتصاد الأخرى. وسيمثل الإطار المنهجي والمفاهيمي مايكل بوراواوي مرجعًا مستمرًا للباحثين الإثنوغرافيين الجدد في التعامل مع تجاربهم الميدانية. ■

توجه كل المراسلات إلى أيدين توبال على البريد الإلكتروني aylintopal@gmail.com

العاملة إلى تنافس العمال فيما بينهم. ومن ثم، فإن المصالح الفردية المتدرجة والمترادفة هي نتيجة عدم قدرة العمال على ترجمة مصالحهم إلى كيان جماعي.

وكما يشير **باتش وجيندين**، يرى بوراواوي أن النقابات العمالية تشكل جهازًا هيمنياً مركزياً للطبقة العاملة يمكنه جذب فصائل مختلفة من الطبقة العاملة إلى حوار وترجمة ممارساتهم المتباعدة. ومن الواضح أن عملية العمل، دون وكالة سياسية جماعية، لن تسمح لفئات مختلفة من الطبقة العاملة بتجاوز لحظاتهم الاقتصادية-الشركةية على أساس تضامن المصالح، حتى في المجال الاقتصادي البحث. والأسوأ من ذلك، أن الهجوم النيوليبرالي العالمي يحرم العمال من قدرة نقاباتهم بوصفها التنظيم السياسي الأساسي لأفعال الطبقات المهمشة.

< خاتمة بديلة >

يتحرك عمل بوراواوي وفق اقتراحين رئيسيين: أ) تشكّل الواقع الأساسي لحياة العامل في مكان العمل، و ب) ارتباط التغييرات في عملية العمل بتغيرات تكوين الرأسمالية. ومن هذين الافتراضين، يظل من الضروري تقديم تحليلات حول التحول النيوليبرالي في تنظيم العمل وتأثيره في تشكيل الإرادة الجماعية للعمال.

< اللقاءات والمناقشات

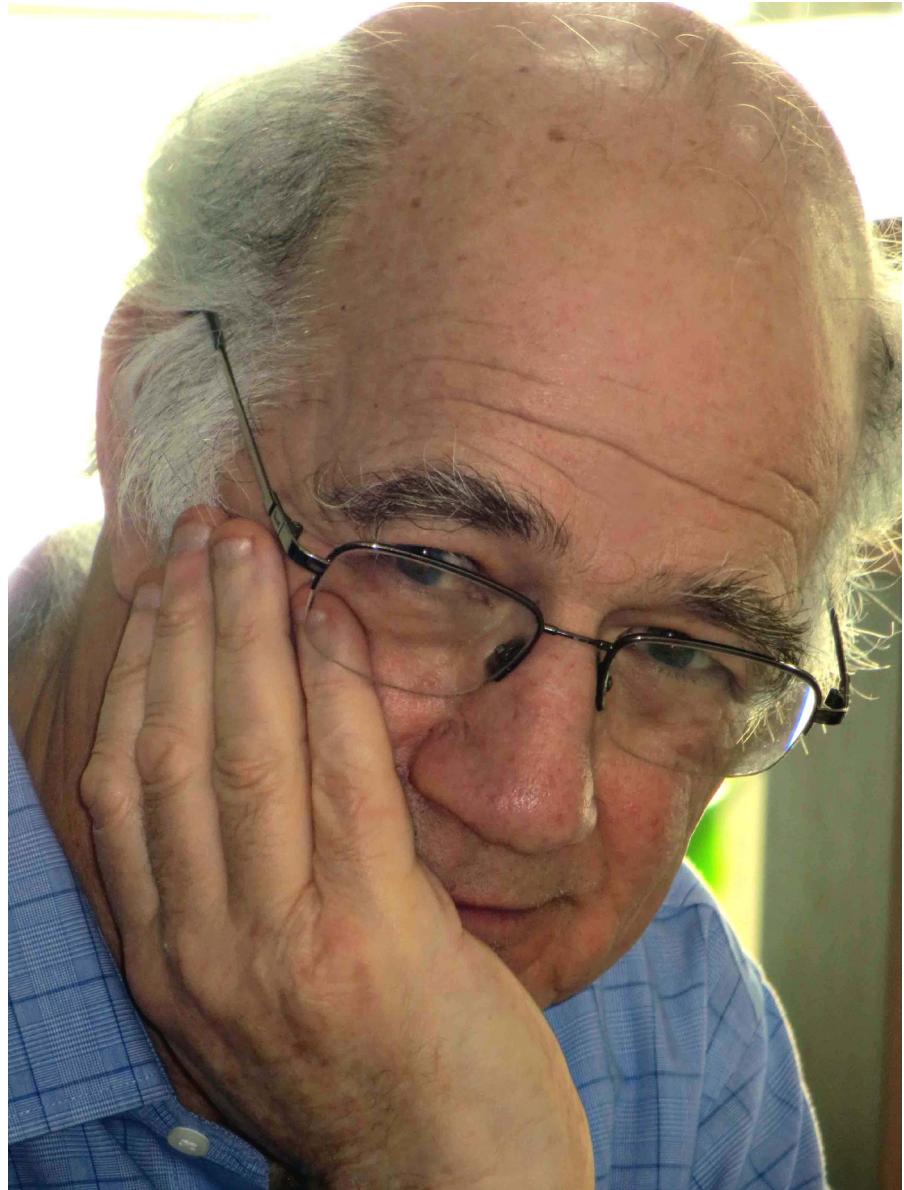
مع مايكل بوراوي

بقلم أري سيتاس، جنوب أفريقيا

مايكل بوراوي خلال محاضرة في الجامعة الوطنية «أكاديمية

كيف-موهيليا» في كييف، أوكرانيا.

تصوير: فولوديمير بانيوتوك، عن ويكيبيديا



وهناك، وجدت نفسي أحابس استيعاب كيفية إقامة الهيمنة وتأمينها عبر آليات تكيف العمال، عبر ما يشبه الألعاب على أرضية المصنع. استند الكتاب إلى خبرات مايكل العملية في بيئة مشابهة لتلك التي درسها إليتون مايو Elton Mayo في عشرينيات القرن العشرين، حيث اكتشف عملية تكيف العمال عبر شبكات تضامن غير رسمية. غير أن مايكل، على خلاف مايو، لم يقتصر على مكان واحد، بل كان يتنتقل من مصنع إلى آخر لاستيعاب السياسة الكامنة في الإنتاج، وكان هذا ما شكلَ قيمة كتابه الثاني الموسوم *The Politics of Production: Factory Regimes Under Capitalism and Socialism*

مكتن لأول مرة سنة 1979 من الاطلاع على أعمال مايكل بوراوي Eddie Webster وهو يحمل بين يديه كتاباً جديداًطبع بعنوان *Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism* مؤكداً أن عليّ إعتماده في المحاضرات التي كنت سأقيها نياً عنه في جامعة ويستس Wits. وقال بحزن: «هذا الكتاب رفيق مثالي لكتاب هيو بيونون Working for Ford»، الذي كان من المقرر أن يشكل جواهر المحاضرات.

يستقطبني للعمل معه خلال رئاسته للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، لكنني كنت قد أرهقتني سنواقي الشماني في تنشيط ترسos آلـة هذه الجمعية ومغازلها ، فأثرت التوقف عن الاستمرار.

جمعتنا سنة ٢٠١٢ سومانغالا داموداران في جامعة أمبيدكار Ambedkar University في دلهي، لتباحث و تتحاور في أعمالنا النوعية المختلفة حول موقع الإنتاج والمجتمعات العمالية. يومها اختلنا بشأن الحقيقة والزيف! وأعني بذلك أنّ دخول مايكل إلى عوالم المصانع كان يقوم على إخفاء مقصده الحقيقي، وتخفييف أثر ميوله الماركسي ليبدو حديثه أقرب إلى لغة الموارد البشرية! HR Talk بينما لم تفتح لي أنا أبواب المصانع في جنوب أفريقيا إبان نظام الفصل العنصري عبر شبكات الإدارة، بل عبر ممثلي العمال وقادة نقابتهم. واختلفنا كذلك حول لفظة «الإثنوغرافيا» نفسها؛ إذ كنت، لشيء من جذوري اليونانية، أجد في الكلمة نفوراً خفياً، in-scribing فهي تحمل في أصل معناها فعل «نقش» الـ«إثنوس» على موضوعات البحث/ وسُمّ موضوعات بنقش إثني ، وكأن الباحث يمارس سلطة صامتة على من يكتب عنهم!

والتقينا مجدداً في جوهانسبورغ حين كان منشغلًا مع صديق آخر كارل فان هولدت Karl von Holdt في تأليف كتابه حول بورديو. و لقاء آخر عبر الإنترت في فرايبورغ Freiburg. كان اللقاء من تنظيم صديقتنا وبيكه كايم Wiebke و كان جدالنا حول علم السوسيولوجيا العمومية وكيفية تداول الأفكار السوسيولوجية. عقبه لقاء آخر في كايب تاون لمناقشة نظام الجامعات وأخلاقياته الإدارية الجديدة. وأخيراً، كان لقاءنا في في جوهانسبurg مرة أخرى بمناسبة تكريم صديقنا إيدي ويرستر. لقاء نظمته Eddie Webster سارة موسويتسا Sarah Mosoetsa كاما لم يفت مايكل أن يكرّم صديقاً آخر متقدعاً ولكنه جريء: جاكي كوك Jackie Cock.

وكان مصير مايكل أن يُقتل في أوكلاند بعد أسبوعين قليلة من ذلك اللقاء.

لقد فقدنا عالم اجتماع استثنائياً في مجال أفضية العمل وممارسة علم الاجتماع، و فناناً مبدعاً في الجمع بين التوجهات الاجتماعية الكلية والجزئية في علم الاجتماع. ولا تزال في الأذهان صورته الحية لهيبته المسرحية التي لا تهدأ في خطواته المتعددة على المسرح، والطbrush، والمرباعات التي كان يرسمها لتوضيح الفئات، وضحكاته، ورعبه أمام الفطائع التي أخذنا نشكّلها في عالمنا ناصبها. ترك لنا مايكل تأملاته الثاقبة حول صعود الشعبوية الاستبدادية ووحشية الإبادة الجماعية.

توجه كل المراسلات إلى آري سيتاس على البريد الإلكتروني arisitas@gmail.com

أدركت لاحقاً مدى قربه من إيدي ويستر والمؤرخة الشعبية لولي كاللينيكوس Luli Callinicos اللذان كانا مرشدّي الأكاديميين و أغدق على بسخاء صداقته ورعايته منذ لقائنا شخصياً في ديربان Durban سنة ١٩٨٩. كان مايكل مبهوراً بالعمل الذي كنا ننجزه داخل حركة مسرح العمال في قلب الحركة النقابية المناضلة، وبالطريقة التي كنا نمارس بها «علم الاجتماع العمومي» الخاص بنا. و خُضنا نقاشات محدثة حول آفاق العراق الاجتماعي التي كان تحيط بنا، و المنشورة بها كان يُسمى بالحرب الأهلية في ناتال. Natal Civil War .

استضافني لاحقاً مرتين في قسم علم الاجتماع في جامعة بيركلي، خلال الفترة الممتدة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٤ و ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٠. لقد أتقنني فعلياً من ورطة الاضطرار إلى ترؤُس لجنة الإعلام والثقافة التابعة لاتفاقية السلام في الحرب الأهلية، حيث طلب منا أن نُجمِّل صورة التقدُّم للصحافة خلال النهار، ثم نواجه تجدُّد العنف كل ليلة. كان عاماً لا يُنسى، إذ أحالني إلى العديد من زملائه وأصدقائه — بيتر إيفانز Peter Evans ، مايكل واتس Michael Watts ، جيليان هارت Gillian Hart ، آصف بيات Asef Bayat ، ميشيل ويليامز Michelle Williams ، و حتى مانويل كاستيلز Manuel Castells — الذين كانوا يصغون باهتمام ويدعون عناء كبيرة بالانتقال السياسي في جنوب أفريقيا. كان مايكل وقوتها مسحوراً بروسيا ما بعد الغلاستونست، وكانت المقارنات بين عمليات الانتقال تتطاير كأشباح الندوات. اضطررت إلى العودة إلى جنوب أفريقيا من أجل أول انتخابات ديمقراطية حقيقية لأكون مراقب تصويت لصالح المؤتمر الوطني الأفريقي ANC .

لا تزال صورة بوروواي وهو يندفع بدرجاته الرياضية وخوذته من أوكلاند، حيث كان يسكن، نحو الحرم الجامعي وقرب سوق مونتيري حيث كنا نسكن، عالقة في الذكرة. وكانت عباراته المتكررة، ‘عليك أن تقرأ هذا’، ولا، بل اقرأ ذلك؟، تدفعنا إلى الماضي قليلاً، فيما كنت أزداد إماماً بمسعاه النظري لتبصير العمل الإثنوغرافي الذي جعله شخصية بارزة في عالم علم الاجتماع.

ثم توالت اللقاءات في السنوات التي تلت لقاءنا الأول ، فيما كانت جنوب أفريقيا كانت تتخذ مكانة الوطن الثاني في قلبه كبلده الثاني. فقد زارني مباشرة بعد انتقاله إلى جامعة كيب تاون سنة ٢٠١٠، حيث قدّمني أيضاً إلى آن ماري وولب AnnMarie Wolpe ، رفيقته الوفية منذ زمن بعيد. وفي لحظة، استحوذت على هذه النسوية العجوز لتشارك في مجلس إدارة صندوق هارولد وولب Harold Wolpe Trust ، تخليداً لذكرى صديق آخر وعالم اجتماع مميز. كان مايكل يتوقع لأن يكون حاضراً في إطلاق كتابي عن عشرية مانديلا Mandela Decade ، الذي احتضنه الصندوق، إلا أن التزاماته الدولية الملحّة حالت دون ذلك. وحاول أن

مايكيل بوراوي: منارة هادية

بِقَلْمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ قَيْسِ، جَامِعَةِ رَاجِشَاهِيِّ، بِنَجْلَادِيشِ

وغالباً ما يعمد هذا التخصص إلى محاكاة الأطر الأورومركبة بدلاً من إنتاج نظريات منبثقية من الواقع المحلي. في الوقت نفسه، تظل الجمعيات المهنية ضعيفة، بينما تسهم الإصلاحات النبوليبرالية في التعليم العالي في تقوضي إمكانات بناء حقل علمي قادر على الاستدامة الذاتية. وقد أفضى هذا الوضع إلى نشوء ما أسميه «سوسيولوجيا هجينة»، علم يعكس التوترات وأهانات التبعية والأزمات التي تميز عالمنا الأكاديمي.

ومع ذلك، فإن هذه الأزمة تقدم أيضًا فرصة. لتحويل علم الاجتماع في بنغلاديش وفي سياقات الجنوب الأخرى، إذ يتوجّب إصلاح المناهج، وتوليد نظريات ومنهجيات مستمدّة من المعرفة المحلية، وإبراز الأهمية العملية لعلم الاجتماع بالنسبة إلى مجتمعاتنا، وتعزيز الجمعيات الوطنية والإقليمية، وتشجيع جيل من الباحثين المنهضين وذوي الوعي النقدي الذّاقي، الملتزّمين بمسؤولياتهم داخل مجتمعاتهم ومن أحليها.

كان تأثير مايكل حاسماً. في تطوير هذه الأفكار، فهو لم يلهمني ببرؤاه النظرية فحسب، بل تفاعل مباشرة مع محاولتي لتصور سوسيولوجيا الهجينة. و ذلك من خلال رئائته مسوداتي، و تقييم ملاحظاته، إضافة إلى تشجيعه لي على إعادة صياغة حججي وتدقيقها. ما أثار إعجابي ليس فقط بعقربنته الفكرية، بل أيضاً بتواضعه. بالنسبة لباحث شاب غير معروف من بنغلاديش، أن يتلقى مثل هذه الاهتمام من أحد أبرز شخصيات علم الاجتماع العالمي، كان مفاجأةً ومحفزاً بعمق.

علاوة عن تأثيره الفكري، لن أنسى ما يكمل أبداً لما تخلّي به من دفء إنساني ونبيل أخلاقي. ففي المؤتمرات، كان ودوداً، خفيف الظل، كريماً بوقته. أتذكّر أنه سألني عن الطعام وحسن الضيافة في أكاديميا سينيكا خلال أحد المؤتمرات في تايبيه، ثم أعلن مازحاً: «إذا قال الشيخ إنه جيد، فهو جيد حقاً!». وخلال المؤتمر العالمي في ملبورن عام ٢٠٢٣، وجدت نفسي أتبعه لالتقاط الصور معه كما لو كنت مصوّراً صحفياً يلاحقه، فضحك من تصرّفاتي وتجابو معها بروح مرحة. ولاحقاً، عندما علم بانتخابي عضواً في اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، جاءت تهنئته مفعمة بالفرح والتشجيع الصادق.

بالنسبة إلى، كان مايكيل يحقق منارةً هاديةً. وكما تعتمد السفن على ضوء الملاحة
للاهتداء في طلمات البحر، اعتمدت عليه طلباً للوضوح والبوصلة الفكرية في عالم
علم الاجتماع العالمي، بما يحمله من تعقيد والتباين. لقد شُكِّل إرثه—المتمثل في
علم الاجتماع العمومي، وفقد هيمنة الشمال العالمي، والدفاع عن المعرفة المنخرطة
والمتحركة من الاستعمار—مساري الفكرى، وسيظل مصدر إلهام وهداية لكثيرين
غيري في بلدان الجنوب العالى.

ستاذ مايكل بوراوي كان مصدر إلهام دائم لعديد من علماء الاجتماع في الجنوب العالمي. تحدي فكرة «علم اجتماع واحد للجميع» ودافع بحماس عن وجود «سوسيولوجيات متعددة حول العالم». إذ أكد في كتاباته وخطاباته على الدور المحوري لعلم الاجتماع في الجنوب العالمي، وسائل التقسيم العالمي الهرمي للعمل الفكري، و في إطار ربط البحث الأكاديمي بالقضايا الاجتماعية الواقعية، وتعزيز مشاركة المجتمع في إنتاج المعرفة دعا مايكل بوراوي إلى الحاجة إلى نظريات مستدمة من التجارب المعيشية لمجتمعاتنا.

كان إطار مايكل المعرفو لأنواع الأربعه من علم الاجتماع — المهني والسياسي والنقد والعام — الحافر الحاسم في التفكير في حالة علم الاجتماع في بخلاديش. حيث طورت من تعاريف هذا التفكير، فكرة ما أسميتها لاحقاً «السوسيولوجيا الهجينة». وأقصد بذلك علم اجتماع يعتمد بشكل كبير على النظريات والمنهجيات المستوردة من الشمال العالمي، مع الاعتماد على البيانات التجريبية من الجنوب العالمي. لكن هذا الوضع الهجين في حد ذاتها عالمية على الأزمة المتمثلة في تخصص متاثر بالتبعية الفكرية، وغير قادر على الوقوف على أسس فكرية مستقلة بالكامل. وفي معظم دول الجنوب العالمي، تشكل علم الاجتماع بهذه الديناميكيات في انتاج المعرفة، مستمدًا نماذج خارجية مع إهمال المعرفة المحلية وواقع مجتمعاتها.

لا يحدث هذا التهجين بمحض الصدفة، بل ينشأ في مجتمعات تتواجد فيها ظروف معينة من بينها الاعتماد على الموارد الأكادémية الخارجية، وهيمنة الأفكار المستوردة على حساب الإبداع المحلي، واستمرار الآثار المترتبة على الاستعمار، إضافة إلى الموضع الهامشي الذي يتخطى فيه الباحثون والعلماء من الجنوب العالمي في الهرمية العالمية لإنجاح المعرفة. وتفضي هذه الشروط إلى نشوء سوسيولوجيا تتجه بنظرها إلى الخارج طليعاً للغاية اف والشعيـة، بدلاً من ترسـخ الثقةـ بما يـقدـمـهاـ الفـكرـةـ الذـاتـيةـ.

تقديم بنغلادش مثلاً واضحة على ذلك. ففي بلدي، ظل علم الاجتماع وألمد طويول تخصصاً غير محدد اطعاماً على نحو دقيق، ولا يزال يعني من مواطن ضعف نظرية ومنهجية ومؤسسة. كما تواحد الجامعات أزمات بنوية وإدارية متلقمة.

”علم الاجتماع العام، نقد هيمنة الشمال، الدفاع عن المعرفة الملتزمة والمتحررة من الاستعمار“

عزيزي مايكيل، ستظل ذكراك منقوشة في قلبي إلى الأبد. لقد أثرت دروبًا لكثيرين
منا. فلتَرْقُد بسلام.

توجه كل المراسلات إلى الشيخ محمدقيس على البريد الإلكتروني skais11@yahoo.com

كما أطلق مايكيل نشرية حوار كوني (Global Dialogue)، التابعة للجمعية
الدولية لعلم الاجتماع، فأناحت منبرًا لأصوات من مختلف أنحاء العالم. وكان فريقينا
في بنغلادش قد ناقش إمكانية استضافة مؤتمر دولي تحت مظلة هذه المجلة، وكنُّ
آمل أن أدعوك إلى دكار. غير أنَّ هذا الأمل، للأسف، لن يتحقق.

تکریم مایکل بوراووی:

منظور مارکسی لصناعة سيارات الاجرة الصغرى في جنوب افريقيا

بكلم سيا بويلا فوبوسى، جامعة فورت هير، جنوب إفريقيا

يعتبر مايكل بورااوي شخصية بارزة وقامة علمية في علم الاجتماع، لا سيما في مجال علم الاجتماع العمومي ، حيث أعادت مناهجه الإثنوغرافية ورؤاه الماركسية تشكيلاً لمفاهيم حول العمل والرأسمالية وسلطة الدولة. لقد قدمت أعماله عدسة نقدية يمكن للباحثين من خلالها تحليل أنظمة الاستغلال وأبيات المقاومة ضمن الاقتصاديات الرأسمالية. ففي تكريم المساهمات العلمية لبورااوي، ندرك أن نظريته تظل ذات صلة عميقة بالدراسات المعاصرة، بما في ذلك تلك التي دراسة صناعة سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا وتفحصها.

أرسى المؤلف الرائد لبرواي، صناعة الموافقة الصادر سنة ١٩٧٩، الأساس لفهم كيفية تكيف العمال مع الاستغلال في ظل الرأسمالية، بحيث يوافقون غالباً على إخضاعهم الذاتي من خلال بُنى مكان العمل وسياسات الدولة. ويوفر نقده لتدخلات الدولة والإصلاحات الرأسمالية إطاراً قوياً يمكن من خلاله تفكير ديناميكيات أسواق العمل غير الرسمية. ولا يربز هذا الأمر بوضوح كما هو الحال في قطاع سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا: وهو قطاع غير رسمي ولكنه أساسي، نشأ من سياسات الفصل العنصري التي فرضت التباعد المكاني، ولا يزال يعمل في ظل ظروف عمل هشة وغير مستقرة.

الجهة المالكة للحقوق: دار نشر جامعة شيكاغو
غلاف الطبعة المنشحة الصادرة عام ١٩٨٢ من كتاب «صناعة القبول».

عبر تعديلات سياسية سطحية فحسب بل يستلزم مقاومة جماعية منظمة وتحوّلًا بنويًّاً أعمق. ومن خلال استحضار إطاره الماركسي، يصبح بإمكان الباحثين والفاعلين الميدانيين الدفع نحو إصلاحات تُعلّى من شأن حماية العمال، وتضمن عدالة أكبر في توزيع الدعم الحكومي، وتُعزّز آليات التفاوض الجماعي لسائقي سيارات الأجرة الصغيرة. إن هذه الجهود تمثل امتدادًا حيًّا لإرث برواوي الفكرى، ونسهم في تعزيز مسار النضال من أجل العدالة داخل قطاعات العمل غير الرسمية.

جسـد مـايـكـل بـروـاويـ، من خـالـل التـزـامـهـ العـمـيقـ بـعـلـمـ الـاجـتمـاعـ العـمـومـيـ، الحاجـةـ المـلـحـةـ إـلـىـ باـحـثـ منـخـرـطـ فيـ قـضـاـيـاـ مجـتـمـعـهـ وـمـوـاجـهـ لـأـشـكـالـ الـظـلـمـ الـاجـتمـاعـيـ. ولاـ يـزالـ اـنـتـاجـهـ الـفـكـرـيـ قـوـةـ مـلـهـمـةـ لـكـلـ مـنـ يـسـعـيـ إـلـىـ تـفـكـيـكـ تـنـاضـلـاتـ النـظـامـ الرـأسـمـالـيـ وـالـدـافـعـ عنـ عـلـاقـاتـ عـمـلـ أـكـثـرـ عـدـالـةـ وـإـنـصـافـاـ. وإنـ تـكـرـيـمـ إـسـهـامـاتـهـ الـفـكـرـيـهـ هوـ، فيـ جـوـهـرـهـ، تـأـكـيدـ جـديـدـ عـلـىـ الدـورـ الـمحـوـريـ الـذـيـ يـضـطـلـعـ بـعـلـمـ الـاجـتمـاعـ بـنـاءـ مـجـتمـعـ أـكـثـرـ عـدـالـاـ وـإـنـسـانـيةـ.

تنسجم إزالة القيود التنظيمية على هذه الصناعة وتحريرها في أواخر الثمانينيات، الذي سمح بالتوسيع السريع، مع مفهوم برواوي حول «الانتقائية الاستراتيجية»، حيث تحاز سياسات الدولة عمداً إلى المؤسسات الرأسمالية المنظمة، بينما تُهمّل أو تهُمّش الاقتصادات غير الرسمية. يساعد هذا المنظور النظري في تفسير سبب فشل تدخلات الحكومات المتعاقبة، بما في ذلك برنامج إعادة رسملة سيارات الأجرة، في تحسين سبل عيش عاملين سيارات الأجرة الصغيرة بشكل جوهري. وبدلًا من ذلك، جاءت هذه التدخلات في الغالب لخدمة مصالح رأس المال، إذ عملت على تحديد البنية التحتية دون معالجة ظروف العمل.

تجد البحوث السوسيولوجية المتناولة لقطاع سيارات الأجرة الصغيرة، ومن ضمنها بحثي، صدى لما طرحته برواوي من رؤى عميقة حول تفكّك البنية العمالية وأشكال الاستغلال البنيوي التي تُحاصر العمال. ويرى بحثي كيف يعمل سائقو هذه المركبات في غياب تام للعقود، والامتيازات، والحماية القانونية، فيجدون أنفسهم أمام هشاشة اقتصادية مستمرة، ويُخضعون لآليات منافسة سوقية تُفرض قدرتهم التفاوضية وتحكم تعييّتهم. كما يُظهر تحليلي لسياسات الدولة أن الإصلاحات التي تُسنّ داخل الأطر الرأسمالية تميل، في معظم الأحيان، إلى تفضيل الكفاءة الاقتصادية على حساب صون حقوق العاملين وتحسين شروطهم.

[توجّه كلّ المراسلات إلى سيا بويلا فوبوسي على البريد الإلكتروني](mailto:sfobosi@ufh.ac.za)

< الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة >

بقلم ديفيد جولدبلات، عالم اجتماع وصحفي مستقل، المملكة المتحدة

THE PERIODIC TABLE OF A FEASIBLE UTOPIA

L_o LOVE																					F FAMILY
H_o HOPE	C_a CIVIC ACTIVISM																				
E_m EMPATHY	S_o SOLIDARITY																				
C_o COMPASSION	M_a MUTUAL AID	D_d DAY DREAMS	S_h SOCIAL HOUSING	W_k WALKING	P_m PLAYGROUNDS AND MEADOWS	R_d REDUCE	G_{nd} GREEN NEW DEAL	U_{bi} UNIVERSAL BASIC INCOME	R_w REDISTRIBUTION OF WEALTH	W_x WEALTH TAX	R_j RESTORATIVE JUSTICE	N_d NEURODIVERSITY	R_k RANDOM KINDNESS	F_e FESTIVALS	P_s THE POKER SCHOOL	B BISEXUAL	S_x SEXUAL ECSTASY				
R_o ROOTS	C_z CITIZEN JURIS	P_d PORTABLE PARADISE	P_p PEOPLES PALACES	C_y CYCLING	U_f URBAN FORESTS	R_p REPAIR	C_e CLEAN ENERGY	U_{hc} UNIVERSAL HEALTHCARE	F_w FOUR DAY WORKING WEEK	C_x CARBON TAX	D_i DRUG LEGISLATION	D_r DISABILITY RIGHTS	S_d SWINGING AND DANCING	F FEASTING	H_s HOT SAUNAS	T TRANS	N_g NEIGHBOURHOOD				
L_a LAUGHTER	D_c DECENTRALISATION	I_c IMPOSSIBLE CONNECTIONS	P_t PUBLIC TRANSPORT	S_k SKATING	C_f CITY FARMS	R_c RECYCLE	R_a REGENERATIVE AGRICULTURE	U_{cc} UNIVERSAL CHILD CARE	U_w USEFUL WORK	L_w LOW-VALUE TAX	E_p EMPTY PRISONS	R_c RIGHTS OF THE CHILD	P_i PLAY	G_t GOOD TIMES	S_w SWIMMING WITH WHALES	Q QUEER	C_t COMMUNITY				
B_a BALANCE	P_v POLITICS AS A VOCATION	C_t CRITICAL THINKING	P_s PUBLIC SPACE	P_d PADDLING	R_a ROOFTOP ALLOTMENTS	R_x RELAX	R_w REWILDERING	U_{sc} UNIVERSAL SOCIAL CARE	L_i LIFELONG LEARNING	F_x FINANCIAL TRANSACTION TAX	P_f THE PLEASE FORCE	I_{fg} INTERESTS OF FUTURE GENERATIONS	T_h THERAPY	G_d GOOD DEATHS	U_p UNUSUAL PEOPLE	+ PLUS	C_e CHANCE ENCOUNTERS				
FUNDAMENTALS	MICROPOLITICS	IMAGINARIUM	CIVL CITIES	SELF-PROPELLION	URBAN BOTANICALS	CIRCULAR ECONOMY	ZERO CARBON	UNIVERSAL WELFARE	LIFEWORK	TAX JUSTICE	UNHOSTILE EMPLOYMENT	THE RIGHT STUFF	FOOD FOR THE SOUL	COLLECTIVE ENERGY	MINE ALL MINE	NOWT SO QUIERAS	SOURCES OF INTIMACY				

©David Goldblatt www.feasibleutopias.org

يُليست متأكداً تماماً من مصدر فكرة الجدول الدوري، لكنني أعزوه إلى جنون الإغلاق (lockdown madness). ومع ذلك، أعلم أنه تضمن العديد من العناصر. لقد تعرّضت إلى هذه العبارة أول مرة في موسوعة في طفولتي، وأنذرك متعة التصميم البصري التي شعرت بها عند رؤية صفو المستطيلات الملونة وتسمياتها الغامضة. وبصفتي طالباً سابقاً في الكيمياء، أكن احتراماً وابهاراً تجاه أناقة الجدول العلمية والفكيرية. وكقارئ لكتاب الجدول الدوري لبريمو ليفي، سعدت بروئية كيف يمكن للجدول أن يتحول إلى مساحة غنية بالاستعارات، شبكات تجمع بين بنية الإلكترونيات والبنية العاطفية في الوقت نفسه.

«الجدول الدوري ليوتوبيا قبلة للتحقق» هو عمل تركيبي فني لدى ديفيد جولدبلات يستبدل العناصر الكيميائية بمكونات مجتمع مرغوب فيه وقابل للتحقق واقعياً.

بالطبع، لا يعوز الإنترنت جداول دورية بديلة - إبحث وستجد القهوة، والبيوركشاي، والسباب، بعضها مضحك وبعضاً غير ذلك - لكن مندليف يستحق أفضل من ذلك. وماذا لو سعينا إلى شيء أعمق؟ شيء أكثر مفاجأة؟ كنت أفكر في مانيفستات - الفنية، والشعرية، والسياسية، وغيرها - وتساءلت عما إذا كانت في عصر قصور الانتباه وتشتت الوعي، طويلة جداً، نصبية جداً، وخطيبة جداً حتى تصمد. فما شكل مانيفست لليوتوبيا في عصر إنستغرام؟ ومثلت إجابتي، وهناك

<<

نبتكه لهم. ثم طبعنا بطاقتين بريديتين لذلك العنصر، أهديناهم واحدة ، وعلقنا الأخرى على الجدار لإنشاء عمل فني ثانٍ: الجدول الدوري الشعبي لليوتوبيا الممكنة.

كان مايكل بورااوي متخصصاً جدًا لفكرة الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة، معتبره تمثيلًا بصريًا لـ«اليقظات الواقعية» real utopias لإريك أولين رايت . أظن أن مايكل كان سيعجب بهذه النسخة التفاعلية والشعبية، خصوصًا المحادثات الغريبة والحميمية وغير التقليدية مع الناس حول شكل العالم الممكن، وغالبًا مع أشخاص لم تتح لهم الفرصة للتفكير بليوتوبيا بالقدر الذي يرغبون فيه. وأعتقد أن هذا ينطبق علينا جميعًا على الأرجح. ■

توجه كل المراسلات إلى ديفيد جولدبلاط على البريد الإلكتروني tobaccoathletic@yahoo.co.uk

الكثير من الإجابات الأخرى التي لم تُكتشف بعد، في الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة.

بدأ الجدول حياته الأولى بالقلم الرصاص في دفتر رسم، ثم تحول إلى الشكل الرقمي، ثم طُبع على الورق المقوى وعلق لفترة قصيرة على جدار واسع أقامه لي أحد المشاريع الفنية. ثم لاحقًا، كانت أصنعة ملصقات، مثل تلك التي ترى مايكل منغمساً في مراجعتها، وأعرض الجدول في محل فارغ بمركز تجاري مهم في وسط بريستول.

حوالنا المحل إلى صيدلية أطلقتنا عليها اسم الكيمياء اليوتوبية ودعونا الجمهور لاستكشاف الجدول الدوري. وإذا بقي الزائرون، اقتربنا عليهم أنسنا لا مملأ احتكار الحكمة. هل هناك عنصر في روبيتهم لليوتوبيا يودون إضافته؟ وإن فعلوا، كنا

مايكل بوراوي يتأمل باهتمام ملصق «الجدول الدوري
ليوتوبيا قابلة للتحقق» في لندن، عام ٢٠٢٤



دُعي زوار العمل التكيبى الفنى «الجدول الدوري لليوتوبيا قابلة للتحقق»، الذى أقيم فى مركز تسوق بمدينة بريستول فى المملكة المتحدة، إلى إضافة مقترناتهم الخاصة بهدف إنشاء «جدول دوري شعبي» ثانٍ.

< وقت

لعلم الاجتماع

من قبل الرابطة الدولية لعلم الاجتماع

في مرحلة يرُوّج فيه قادة الدول إلى تقويض الثقة بالعلم، وتفاقم فيه الهجمات على العلوم الاجتماعية و تراجع فيه الثقة بالخبرة الأكاديمية، وتنامي الصراع حول شرعية إنتاج المعرفة وتوجيهها.

في مرحلة تنتشر فيه الأخبار الزائفة على نطاق أوسع بتأثيرها الأبلغ من التحليلات القائمة على البحث العلمي،

في مرحلة يعمل فيه قادة سياسيون على نشر خطاب الكراهية، وإنكار حق شرائح من الساكنة في المواطنة الكاملة،

في مرحلة تتجدد فيه ممارسات نزع الإنسانية عن فئات اجتماعية بأكملها لتكون أداة واسعة الاستخدام لتسيخ نفوذهم وتعزيزه،

في مرحلة يتم فيه نكران الدليل العلمي بهدف أجل استبعاد حالات الطوارئ البيئية والمجتمعية،

في مرحلة تتضاعد فيه سياسات قمع الأصوات التي تُدين الإبادة والعنف البنيوي والتمييز العنصري،

في مرحلة يشهد فيها العالم ترکزاً غير مسبوق للثروة، بما يُمْكِن عدداً محدوداً من أصحاب الثروات الضخمة من بسط نفوذهم على وسائل الإعلام الجماهيرية ومنصات التواصل الاجتماعي،

في مرحلة تواجه فيه الإنسانية أزمات عالمية متراقبة ستؤثر في مصائر الأجيال القادمة و مستقبلاتهم،

في مرحلة تعرّض فيه الحرية الأكاديمية لهجمات متضاعدة، حتى داخل الديمقراطيات الراسخة،

نعتقد أن الإسهامات النقدية التي يقدمها علماء الاجتماع أضحت، في المرحلة الراهنة، ضرورةً معرفية ملحة.

ونجدد التأكيد على القيم والمبادئ والالتزامات الجوهرية التي تشَكّل أساس عملنا وعمقه بصفتنا باحثين وأعضاء هيئة تدريس ومتّقفين عاملين،

نلتزم ب :

- سوسيولوجيا صارمة تقوم على الحقائق والتحليل المنهجي، وترفض السردية المبسطة وتحتظن تعقيدات العالم وتنوعه ،

- سوسيولوجيا مستقلة تذكرنا بأن الخطاب السلطوي لا يُكتسب مصداقيته بالتكلّر، ولا تزيد الكذبة بتكرارها إلا رسوحاً في الباطل،

- سوسيولوجيا نقديّة يطرح تساؤلات منهجية حول تصاعد أشكال عدم المساواة و يواجه أسطورة الرجل الذي يصنع ذاته بنفسه، وحول التركيز المبسط على الأسواق والاستهلاكية، وصور هيمنة الذكورة (Alpha Masculinity) ،

- سوسيولوجيا عمومية يشارك في النقاشات المدنية لا من قاعدة التفوق المعرفي، بل عبر حوار متكافئ مع الفاعلين الاجتماعيين الساعين إلى التغيير والدفاع عن الصالح العام،

- سوسيولوجيا عمومية تقاوم النزعات نحو التخصصية المفرطة والتفتت المعرفي، وتناول القضايا الملحة لعصرنا،

- سوسيولوجيا كوبية يستفيد من الباحثين والفاعلين الاجتماعيين في مختلف مناطق العالم لفهم تحديات القرن الحادي والعشرين والاستجابة لها، ويسيهم في بناء حسّ إنساني مشترك.

نؤمن إيماناً راسخاً بأن العلوم الاجتماعية والحرية الأكاديمية جزء لا يتجزأ من الحياة الديمقراطية، تتوجّب حمايتها وتعزيزهما.

ونؤمن بأن النقاش العام القائم على معرفة تاريخية ورؤية سوسيولوجية دقيقة يُثْلِل عصراً أساسياً لهم أزمات عصرنا و التعامل معها.

نحن على قناعة بأن علم الاجتماع لا يقتصر على تفسير الظواهر الاجتماعية فحسب، بل يقدم إطاراً منهجياً لتصور وبناء مستقبل يتميز بالعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، والاستدامة البيئية، والتعايش السلمي.

وفي زمن تغيير المناخ والحروب وتصاعد اللامساواة وخطابات الكراهية، تغدو السوسيولوجيا أدلة لا غنى عنها لضمان إمكانية العيش المشترك على كوكب محدود الموارد.

قدم رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، جيفري بليبرز، هذا البيان خلال الملتقى الخامس للجمعية المنعقد في الرباط بتاريخ ٦ يوليو ٢٠٢٥. وبحضور البيان

بدعم الرؤساء السابقين للجمعية، وهم: ساري حنفي، مارجريت أبراهم، وميشيل ويفورا؛ بالإضافة إلى نواب الرئيس الحاليين: أليسون لوكونتو، باندانا بوركاياث، إيلينا أويناس، ومارتا سولير. كما حظي البيان بعدم قادة الجمعيات العلمية الدولية الأخرى، وهم: كاجا غادوسكا، رئيسة الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع (ESA)، وخيسوس ديان، رئيس الجمعية اللاتينية الأمريكية لعلم الاجتماع (ALAS)، وبابلو فومارو، رئيس المجلس اللاتيني الأمريكي للعلوم الاجتماعية (CLACSO) ■

الرباط، يوليو ٢٠٢٥

نقوم بجمع التأييدات من علماء الاجتماع الأفراد ومن أعضاء المجتمع الأوسع للعلوم الاجتماعية. ندعوكم إلى المشاركة بإضافة أسمائكم إلى هذا البيان الجماعي الذي يجسد الالتزام المشترك والتضامن الأكاديمي. [filling out this form](#)





**GLOBAL
DIALOGUE**



International
Sociological
Association

<https://globaldialogue.isa-sociology.org/>

www.isa-sociology.org